جامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمادة البحث العلمي و الدراسات العليا

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والتربوية

قسم اللغة العربية

أثر الحوار في رسم شخصيات الأنبياء في القرآن الكريم

دراسة أسلوبية تحليلية

إعداد الطالبة :

نهاية " محمد غازي " عبد الرحيم عنبتاوي

إشراف :

الدكتور ناصر إبراهيم النعيمي

قدمت هذه الدراسة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية

مسار الدراسات الأدبية والنقدية

٢٠١٠-٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

أثر الحوار في رسم شخصيات الأنبياء في القرآن الكريم

إعداد الطالبة: نهاية "محمد غازي" عبد الرحيم عنبتاوي

قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في تخصص اللغة العربية / مسار الدراسات الأدبية والنقدية من جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ ٢٣ كانون أول ٢٠١٠م – الموافق ١٧ محرم ١٤٣٢هـ

عمان– الأردن

وافق عليها أعضاء لجنة المناقشة:

– الدكتور ناصر إبراهيم النعيمي..................... رئيسا
جامعة العلوم الإسلامية العالمية

– الأستاذ الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن............ عضوا
جامعة العلوم الإسلامية العالمية

– الدكتور عيسى قويدر العبادي .... عضوا
جامعة العلوم الإسلامية العالمية

– الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين .... عضوا خارجيا
الجامعة الأردنية

الإهداء:

إلى كل من قال لا إله إلا ا ،

إلى كل طالب علم،

إلى والدي العزيزين.

إلى أبنائي.

أهدي هذا العمل .

شكر و تقدير

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة النمل، الآية: (١٩).

وأتقدم بالدعاء إلى الأستاذ الدكتور **مصطفى محمد السيوفي** – رحمه ا تعالى- الذي أشرف على هذه الرسالة من بداياتها، وأدعو ا مخلصة أن يتولى عنا جـزاء أستاذنا بقدر جهده وتضحياته في سبيل العلم، وأتقدم بالشكر إلى الأسـتاذ المـشارك الدكتور **ناصر إبراهيم النعيمي** الذي تولى الإشراف على هذه الرسالة، فأسبغ علـي من علمه وكرم أخلاقه ما أنار لي الطريق لاستكمال هذا العمل، فله منـي الـشكر وخالص الدعاء .

وأتوجه بكل الاحترام والتقدير لأساتذتي الأفاضل لجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذه الرسالة وإثرائها بتوجيهاتهم الـسديدة، والتـي سـتكون فـي محـل العنايـة والتنفيذ، كما أشكر جميع الأساتذة الذين قدموا لنا الكثير في مجال العلـم والتربيـة داخل الجامعة وخارجها، فجزاهم ا عنا خير الجزاء.

الفهرس

الإهداء .... أ

شكر و تقدير .... ب

الفهرس .... ج

ملخص الدراسة .... هـ

المقدمة ١

الدراسات السابقة... ٢

الفصل الأول : **الحوار**... ٥

- الحوار لغة ٦

- الحوار اصطلاحا.. ٧

- أساسيات الحوار القرآني.. ٩

- أنواع الحوار القرآني ١١

١ – الحوار القرآني من حيث الشكل.................................. ١١

٢- الحوار القرآني من حيث أطراف الحوار............................. ١٢

٣- الحوار القرآني من حيث المباشرة وعدمها.......................... ١٥

الفصل الثاني : الأسلوب في الحوار في القرآن الكريم ٢٠

أولا: الالتفات في الحوار القرآني ٢١

ثانيا: الإيجاز في الحوار القرآني ٢٤

ثالثا: العدول في الحوار القرآني ٢٩

رابعا: التكرار في المقولات الحوارية في القرآن الكريم.......................... ٣٦

الفصل الثالث : الشخصية الإسلامية في القرآن الكريم ٤٧

- المبحث الأول: الشخصية الفنية والشخصية القرآنية ٤٨

- المبحث الثاني: دور الحوار في رسم أبعاد الشخصية القرآنية............. ٥٣
الشخصية الإسلامية الأولى: نوح – عليه السلام – ٥٣
الشخصية الإسلامية الثانية: إبراهيم – عليه السلام – ٦٠
الشخصية الإسلامية الثالثة: لوط– عليه السلام – ٧٤
الشخصية الإسلامية الرابعة: إسماعيل– عليه السلام – ٨٢
الشخصية الإسلامية الخامسة: يعقوب– عليه السلام – ٨٦
الشخصية الإسلامية السادسة: يوسف– عليه السلام – ٩٥
الشخصية الإسلامية السابعة: موسى – عليه السلام – ١١١
الشخصية الإسلامية الثامنة: سليمان – عليه السلام – ١١٨
الشخصية الإسلامية التاسعة: عيسى – عليه السلام – ١٢٢
الشخصية الإسلامية العاشرة: محمد - صلى ا عليه وسلم- ١٢٨
نتائج البحث... ١٣٩
المصادر والمراجع ١٤٠
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية ١٤٧

ملخص الدراسة :

تبحث هذه الدراسة في مفهوم الحوار القرآني، وقواعده وأسسه، ثم تعرض أشكالا للحوارات القرآنية فيما يخدم الدراسة، وتحاول دراسة أثر الحوار في رسم أبعاد هذه الشخصيات، وذلك من خلال دراسة النص القرآني، مع دراسة تحليلية لمقولات حوارية مختارة وتخدم الدراسة .

وتم تحيل لبعض الأساليب الحوارية في القرآن الكريم من خلال: الالتفات في المقولة الحوارية، والإيجاز، والعدول أثناء الحوار والخطاب من المفرد إلى الجمع، ومن المثنى إلى الإفراد، ومن خطاب المؤنث إلى المذكر، والتكرار وفوائده وفق دراسة أسلوبية وتحليلية.

وصولا للجانب العملي التطبيقي في الدراسة من خلال اختيار مواقف حوارية من النص القرآني، ساعدت هذه النماذج في الوصول إلى فهم شخصيات مختارة من الأنبياء، ومنها إلى الشخصية الإسلامية في القرآن الكريم، ضمن المخطط الذي رسم لهذه الدراسة، خلوصا إلى أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

وا من وراء القصد و به نستعين

المقدمة:

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ سورة الإسراء، آية: **(٨٨).** تحاول هذه الدراسة عرض بعض الأساليب الحوارية، وأثرها في التعامل الإنساني أثناء دراسة الجملة الحوارية في النص القرآني، ومن ثم دراسة الخطاب الذي ورد بها أثناء التحليل ابتداء بأصغر عنصر وهو:(الصوت)، وانتقالا إلى الدلالة، مع التركيز على القواعد والقوانين التي تشكل النظم القرآني، والذي بدوره يخضع إلى النظم المعروف في اللغة العربية، ولا يتجاوزها إلى غير المعهود مع إكساب الألفاظ دلالات إسلامية جديدة.

وتكمن أهمية الدراسة من منطلق حرص الباحثة على رفد المكتبة العربية والإسلامية بدراسة نظرية وتطبيقية، إذ لاحظت الباحثة قلة الدراسات ذات الصلة بموضوع البحث الذي يراد دراسته، ومما دفعني لاختيار هذا الموضوع هو أهمية الحوار القرآني في الكشف عن نوازع الشخصية القرآنية بأبعادها الثلاث: البعد الداخلي (النفسي)، والبعد الخارجي، والبعد الاجتماعي.

وتهدف هذه الدراسة إلى دراسة الحوارات القرآنية دراسة أسلوبية قائمة على الكيفية التي جسمت فيها الصياغة اللغوية المعنى تجسيماً ، بحيث يتم الانطلاق من النص القرآني للكشف عن الشخصيات التي تمثل نماذج الدراسة، وقد تباينت هذه النماذج، واختلفت بصورها، وطريقتها الخاصة في التعبير عن ذاتها، والكشف عن معجمها الخاص بها، وأثر الحوار في المتلقي، والتأثير فيه بحيث يتمكن من رسم الشخصية بجميع أبعادها.

ومع أن الجهد الذي بذل في الدراسات السابقة جهد كبير لا يستهان به، إلا أن هذه الدراسة تسعى إلى رسم منهج خاص في الكشف عن صفات الشخصية الإسلامية من خلال أداة الحوار، فالخصوصية والدقة في هذه الدراسة، بحيث تناولتُ نماذج مختارة متخصصة قمت بتحليل حواراتها، وما نطقت به أو تلفظت به بحيث تجسم الشخصية بأبعادها الثلاثة وكأنها حاضرة أمامك، ويكون التوصل من خلال هذه الحوارات إلى مهارات الحوار وأساليبه وأهدافه وغاياته وأدواته ومستلزماته بناء على أصول الحوار في القران الكريم، ويقوم هذا البحث على تطبيق فن الحوار مع الآخر مهما كان هذا الآخر: عدوا أو صديقا، رجلا أو امرأة، كبيرا أو صغيرا،

أو كائنا حيا، مكونا في النهاية صفات خاصة تصبغ الشخصية الإسلامية بصبغة خاصة بريشة فن الحوار باعتباره أسلوبا لغويا فاعلا، وأثره في الكشف عن شخصية أصحاب المقولات.

الدراسات السابقة

إن هذا الموضوع لم يبحث بحثا مستقلا، وهذه الدراسة تختلف عن الدراسات الواردة في موضوع الشخصية الإسلامية؛ لأنها تقوم على استخراج أبعاد الشخصية الإسلامية من خلال الحوار ذاته، في حين أن الدراسات الأخرى نحو:

- " لغة الحوار في القرآن الكريم دراسة وظيفية أسلوبية " قامت بها الباحثة فوز سهيل كامل نزال.

- " مقومات الشخصية الإسلامية والعربية " الدكتور عبد الرحمن العيسوي، وقد استخدم في بحثه أسلوب الاستبانة، فوزعها على عينة دراسية، وحلل نتائجها.

- " شخصية المسلم كما يصورها القرآن " للدكتور مصطفى عبد الواحد.

- " شخصية المسلم في الكتاب والسنة " للدكتور محمد علي الهاشمي.

- " الشخصية الإسلامية " لبنت الشاطئ.

- رسالة ماجستير بعنوان:"الشخصية في القصص القرآني" خالد سليمان عيد الدولات، وهي دراسة نصية نقدية تحليلية لشخوص مختارة.

- " بناء الشخصية في القصة القرآنية " للدكتور مصطفى عليان.

وارتأت الدراسة المنهج القائم على:

١- جمع الآيات ذات الصبغة الحوارية المتعلقة بالموضوع من القرآن الكريم .

٢- تحليل المقولات الحوارية في القرآن الكريم ملتزما بقواعد التفسير وأسسه، كما هو متعارف عليه عند علماء التفسير والفقه واللغة.

٣- بيان وجه الإعجاز الحواري، ودوره في رسم أبعاد الشخصية الإسلامية.

من هنا يكون انطلاق الباحثة في الدراسة الأسلوبية للمقولات الحوارية، و بيان دورها في رسم الشخصية الإسلامية، واقتصرت الدراسة على ثلاثة فصول ومقدمة وخاتمة، والمقدمـة: تمثلت في أهمية الدراسة، وأهدافها،والدراسات السابقة، والمنهجية التي اتبعتهـا فـي العمـل، فكانت الفصول الخمسة الآتية:

أولا: الفصل الأول وفيه: التعريف بالحوار لغة واصطلاحا، وأصول التعامل مع الحـوار القرآني وأساسياته، وأنواعه وأشكاله.

أما الفصل الثاني: فعني بدراسة الأساليب الحوارية في القرآن الكريم، ونـاقش بعـضها نحو: الالتفات ، والإيجاز، والعدول في الحوار القرآني ثم التكرار في الحوار القرآني.

وأما الفصل الثالث فكان في مبحثين هما: المبحث الأول: التعريف بمفهـوم الشخـصية الأدبية والشخصية القرآنية، والمبحث الثاني تناول دور الحوار القرآني في رسم أبعاد الشخصية القرآنية، حيث شمل دراسة تطبيقية لنماذج من الشخصيات القرآنية، ودور الحـوار فـي رسـم معالمها، وهذه الشخصيات مرتبة ترتيبا زمنيا هي: شخصية نوح -عليه السلام-، وإبراهيم-عليه السلام-، ولوط-عليه السلام-، وإسماعيل-عليه السلام-، ويعقوب-عليه السلام-، ويوسف-عليه السلام-، وموسى-عليه السلام-، وسليمان-عليه السلام-، وعيسى-عليه السلام-، محمد-صلى الله عليه وسلم-، والسبب الرئيس في اختيار هذه النماذج أن الدراسة تبحث في أثر الحوار في رسم الشخصية الإسلامية، وتلك الشخصيات أعلنت من خلال مقولاتها الحوارية عن إسـلامها فهـذا نوح-عليه السلام- يقول: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ سورة يونس، آية : (٧٢)، وإبراهيم-عليه السلام- يوصي بنيه قائلا: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ سورة البقرة، آية : (١٣٢)، وعلى لسان الملائكة-عليهم السلام- يشهدون للوط-عليه السلام- بالإسلام بقـولهم: ﴿ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ

﴿ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة الذاريات، الآيات: (٣١-٣٣)، ويوسف - عليه السلام - ابن يعقوب يؤكد إسلامه وهو يدعو ربه قائلا: ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٠١)، وموسى - عليه السلام - إذ دعا قومه قائلا: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سورة يونس، آية :(٨٤)، وسليمان - عليه السلام - في قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة النمل، الآيتان: (٣٠ - ٣١)، ويؤكد إسلامه قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرۡشُكِۖ قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ وَأُوتِينَا ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهَا وَكُنَّا مُسۡلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعۡبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ إِنَّهَا كَانَتۡ مِن قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدۡخُلِي ٱلصَّرۡحَۖ فَلَمَّا رَأَتۡهُ حَسِبَتۡهُ لُجَّةٗ وَكَشَفَتۡ عَن سَاقَيۡهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرۡحٞ مُّمَرَّدٞ مِّن قَوَارِيرَۗ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي وَأَسۡلَمۡتُ مَعَ سُلَيۡمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة النمل، الآيات: (٤٢-٤٤)، وعيسى - عليه السلام - قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ سورة آل عمران، آية: (٥٢)، وخاتم الأنبياء محمد –صلى الله عليه وسلم- يعلن أنه أول المسلمين، قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ سورة الأنعام، الآيتان: (١٦٢– ١٦٣)، وفي قوله تعالى: ﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرۡتُ لِأَنۡ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة الزمر، الآيتان: (١١ – ١٢).

ثم كانت الخاتمة وفيها ما تكشف للدراسة من نتائج.

الفصل الأول: الحوار

- الحوار لغة ٦

- الحوار اصطلاحا.. ٧

- أساسيات الحوار القرآني.. ٩

- أنواع الحوار القرآني ١١

١ – الحوار القرآني من حيث الشكل.. ١١

٢- الحوار القرآني من حيث أطراف الحوار.................................. ١٢

٣- الحوار القرآني من حيث المباشرة وعدمها.............................. ١٥

الحوار لغة : جاء في لسان العرب في مادة (ح و ر) ما يأتي:

(حور) الحور الرجوع عن الشيء وإلى الشيء حار إلى الشيء وعنه حوراً ومحاراً ومحـارةً وحؤُوراً: رجع عنه وإليه، وقول العجاج في(بِئْرِ لا حورٍ[1])، وفي المثل: (حور في محارةٍ) معناه: نقصان في نقصان ورجوع في رجوع، يضرب للرجل إذا كان أمره يـدبر، والمحـار المرجـع، والحور الهلاك وكل ذلك في النقصان والرجوع، والحور ما تحت الكور من العمامة لأنه رجـوع عن تكويرها، وكلمته فما رجع إلي حواراً وحِواراً ومحاورةً وحويراً ومحورة بضم الحاء بـوزن مشُورة أي: جواباً، وأحار عليه جوابه: رده، وأحرتُ له جواباً، وما أحار بكلمـة، والاسـم مـن المحاورةِ الحوير تقول: سمعت حويرهما وحِوارهما، والمحاورة المجاوبة، والتحـاور التجـاوب، وتقول: كلمته فما أحار إلي جواباً وما رجع إلي خَويراً ولا حويرةً ولا محورةً ولا حِواراً أي : ما رد جواباً، واستحاره أي استنطقه، وفي حديث علي- كرم ا وجهه-: "يرجع إليكما ابنا كما بِحور ما بعثْتُما بِه" أي: بجواب ذلك. يقال: كلمته فما رد إلي حوراً أي: جواباً، وقيل: أراد بـه الخيبـة والإِخْفَاقَ وأصل الحور الرجوع إلى النقص.

وهم يتَحاورون أي: يتراجعون الكلام، والمحاورةُ: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، وقد حاوره، والمحورةُ من المحاورةِ مصدر كالمشُورةِ من المشاورة، وما جاءتني عنه محورة أي: ما رجع إلي عنه خبر، وإنه لضعيف الحور أي المحاورةِ، وأصل التحوير في اللغة من حار يحـور وهو: الرجوع، والتحوير والترجيع.

[1] – انظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور. الأفريقي المصري لسان العرب،مادة (حور)، دار صـادر، بيروت، ط١، مادة (حور)، الصاحب بن عباد، الصاحب الكافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العبـاس بن أحمد بن إدريس الطالقاني. المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتـب، بيـروت، لبنان،ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٤ م، ج١،ص٢٤٨، والزمخشري، أبو القاسم جار ا محمود بن عمرو. أسـاس البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ج١،ص١٦٧، و مـصطفى، إبـراهيم وآخـرون. المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ج ١، ص ٤٢٧

الحوار اصطلاحا:

يفسر مصطلح الحوار على أكثر من وجه منها :

١- الحوار (Dialogue): " تعني الكلمة محادثة أو تجاذب أطراف الحديث ، وهي تستتبع تبادلا للآراء والأفكار، وتستعمل في الشعر والقصة القصيرة والروايات والتمثيليات لتصوير الشخصيات ودفع الفعل إلى الأمام"[١].

٢ - الحوار" هو تمثيل للتبادل الشفهي، وهذا التمثيل يفترض عرض كلام الشخصيات بحرفيته، سواء أكان موضوعا بين قوسين أم غير موضوع، ولتبادل الكلام بين الشخصيات أشكال عديدة كالاتصال والمحادثة والمناظرة والحوار المسرحي"[٢].

٣ – الحوار(Monologue **):** " حديث يدور بين اثنين على الأقل، ويتناول شتى الموضوعات"[٣].

٤ – الحوار" هو كلام يقع بين الأديب ونفسه، أومن ينزله مقام نفسه، كربة الشعر أو خيال الحبيبة، وهذا الأسلوب طاغٍ في المسرحيات وشائع في أقسام مهمة من الروايات، ويفرض فيه الإبانة عن الموقف، والكشف عن خبايا النفس"[٤].

ومما سبق أخلص إلى أن الحوار: عملية تفاعلية نامية تعالج مسألة (ما) بإحدى أدوات الحوار تحقيقا أو تقديرا.

الحوار القرآني :

في هذه الدراسة اعتمدت لفظة الحوار القرآني للدلالة على جميع المقولات الحوارية التي نطقت بها شخصيات القرآن الكريم، التي كانت على ألسنة شخصيات متنوعة ومتباينة اختص بها القرآن الكريم، وشكلت نماذج تبدو على شكل شخصيات إنسانية من: الرجل والمرأة والرضيع، أو شخصيات من الملائكة من مثل: حوار الملائكة مع زكريا ومريم –عليهما السلام، والوحي

[١]- عبد النور، جبور. المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت ، لبنان ، ط٢ ، ١٩٨٤م ، ص ١٤٦
[٢] - زيتون، لطيف. معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، ناشرون، ٢٠٠٢ م، ص٧٩

[٣]- المرجع السابق، ص ١٤٦
[٤] - السابق، ص ١٤٦

جبريل–عليه السلام–، والملائكة في حوارهم مع إبراهيم –عليه السلام–، أو حتى حوارات خارجة عن المعهود من مثل: حوار سليمان–عليه السلام– مع طائر الهدهد، أو سماعه حوار النملة، وحوار المغيبات من مثل: حوار أهل الجنة وأهل النار، وما كان من جمل حوارية خاصة بهما، وحوارات الجن، حيث أفردت سورة كاملة باسم سورة الجن، وفي باقي السور نجد لهم مقولات حوارية موزعة في عدة مواقف في القرآن الكريم، وفي النص القرآني نجد الحوار أخذ دورا كبيرا في رسم الشخصيات، والكشف عن نوازعها من الخير والشر، وهذا ما تحاول الدراسة جاهدة أن تصل إليه.

أساسيات الحوار القرآني

اعتمدت الدراسة أساسيات للتعامل مع الحوار القرآني لا يصح تجاوزها[1] وهي:

١. الوقوف عند أبعاد الحوار الداخلي والخارجي لأسلوب الشخصية المعنية.

٢. عدم الانتقال من الحقيقة إلى المجاز إلا إذا قامت القرائن الواضحة للانتقال من الحقيقة إلى المجاز.

٣. عدم مخالفة القواعد اللغوية ومعانيها المقررة في التفاسير والمعاجم اللغوية والأحكام الفقهية.

٤. تذوق الحوار القرآني.

٥. والحوار القرآني قائم على الصدق، ثم إنه واقع دقيق، فهي جمل حوارية تلفظت بها شخصيات ونماذج ذكرت في القرآن الكريم والدليل: قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ سورة النجم، الآيات : (٣-٥)، وفي قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (١١١).

٦. الحوار القرآني- في القصص القرآني- اتفق مع أهداف القرآن التربوية والدينية، والذي جاء لهداية الناس وتفصيلاً لكل شيء.

---

[1] - انظر: الخطيب، عبد الكريم. القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم ويوسف، بيروت، لبنان ، ط٢، ١٣٥٠ هـ - ١٩٧٥م ، ص٤٨-٤٩ ، نزال، فوز سهيل كامل. لغة الحوار في القرآن،دراسة وظيفية، أسلوبية، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠١م، ص ٧-١٢، نفرة، تهامي. سيكلوجية القصة في القرآن الكريم، الشركة التونسية للتوزيع، جامعة الجزائر، رسالة دكتوراه، ١٩٧١م ، ص ٤١٠-٤١١، العبيدي، خالد فائق، المنظار الهندسي للقرآن الكريم، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ٢٠٠١م، ص٢٨

٧. لا يوجد تناقض أو اختلاف أو خلل بين الجمل الحوارية التي ذكرت على ألسنة أصحابها أينما وردت في قصص القرآن الكريم، فلا تجد ما يخالف قصة موسى-عليه السلام- من خلال توزعها بين ثنايا الكتاب الكريم، وإن اختلفت بعض العبارات والجمل الحوارية في مواطن عديدة من حذف أو إيجاز أو تكرار أو غير ذلك، إلا أنه كله كان ضمن إطار عام، وترتيب يدل علـى عظمة الخالق، وإعجاز القرآن الكريم في نظمه.

٨. ما أقره القرآن الكريم من حوار في ثناياه نقره ونلتزم به، وما غاب عنا وأشكل علينا تفسيره نقف عنده، فإن وافقه حديث صحيح خرجه علماء الحديث وأقروه أخذنا به، وإلا وقفنا عند ذلـك دون التمادي في الانحراف العقلي وراء تفصيلاته التي لا يبنى عليها عمـل، ولا تـرتبط بهـا حركة، ومثال ذلك دور أم يوسف-عليهما السلام- لا نجدها إلا رمزاً في أول السورة من خلال الحـوار: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ سورة يوسف، آية: **(٤)** ، ويتكرر الرمز في آخر الـسورة: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ﴾ سورة يوسف، آية: **(١٠٠)**، فنحن لا نجد الإشارة إلى أم يوسف – عليه السلام- إلا رمزاً! لذلك لا نقحم أنفسنا ونجهد عقولنا في محاولة اكتشاف من هي أم يوسف؟ لماذا لم تذكر؟ أين هي؟ أين دورها ؟

أنواع الحوار القرآني:

تنوع الحوار القرآني ضمن محكات مختلفة منها:

١ – **الحوار القرآني من حيث الشكل،** تمثل في ضربين:

أ- حوار قصصي   ب- حوار غير قصصي.

و كان للحوار الذي جاء ضمن القصص القرآنية دور بارز فهو العنصر الأساسي، و الأقوى في إظهار الشخصية، ورسم أبعادها، التي بدورها نطقت بأنباء وأحداث حقيقية لم تتلبس بـشيء من الخيال، ولم يدخل عليها شيء غير الواقع[1]. قـال تعـالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (١١١)، **فالحوار القصصي**: هو الذي كان على ألسنة النمـاذج التـي شكلت شخصيات القصص ودارت حولها الأحداث، نحو: حوار الملائكة مع رب العزة في أمـر الله لهم بالسجود، وموقف إبليس ورده وعصيانه لأمر ربه، أو كالحوار الذي دار بـين الهدهـد وسليمان-عليه السلام-، أو كلام الله تعالى مع موسى- عليه السلام- في الـوادي المقـدس، أو كالحوار الذي تخلل قصة يوسف-عليه السلام- في سورة كاملة مثّل أحداثها منذ البدايـة إلـى النهاية.

وأما الحوار غير القصـصي: فهو يشمل المقولات المحكية التي لقنها الله لرسوله-صـلى الله عليه وسلم- كقوله تعـالى:﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة آل عمران، آية: (٣١)، فالخطاب التلقيني من الله - تعالى-على لـسان رسـوله بوسـاطة

[1]- انظر: القصص القرآني في منطوقه و مفهومه، ص ٤٨-٤٩، وسيكولوجية القصة فـي القـرآن الكـريم، ص٤١١- ٤١٢

الوحي، **أو** كقوله تعـالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٠٨).

٢- أما الحوار القرآني من حيث أطراف الحوار، فكان على عدة صور منها:

أ- حوار الأعلى مرتبة – و المثل الأعلى- مع الأدنى ويتمثل في:

- **حوار ا** –عز وجلّ- مع الملائكة: وهم عباد ا المخلصون الذين يفعلون ما يؤمرون، وحاورهم ا حين أخبرهم بخلق آدم. قال تعـالى:﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة البقرة، آية: (٣١).

- **حوار ا** -عز وجلّ- مع إبليس.

- **حوار ا** تعالى مع موسى-عليه السلام-.

ب - حوار الند للند، وله مظهران هما:

<u>**المظهر الأول**</u>: الحوار **الإيجابي** يتشارك الطرفان فيه– طرفان أو أكثر– يتبادلان المقـولات فيما بينهما، من أمثلة:

- **الحوار بين اثنين**: الحوار بين موسى-عليه السلام- وفرعون.

- **الحوار بين الواحد مع الاثنين من الطرف الأخر**: الحوار بين فرعون من طـرف وموسـى وهارون من الطرف الآخـر. قـال تعـالى:﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾سـورة طـه، أيـة: (٤٩).

- **الحوار بين الواحد والجماعة**: حوار امرأة العزيز مع النـسوة: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ

﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ سورة يوسف ، أية : (٣٢) .

- **الحوار بين جماعة وجماعة**، يتبادل الحوار بينهم، مثل قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَـٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ سورة يوسف، لآيات: (٧١-٧٥)، ومن أمثلة حوارات الشخصية الجماعية في اتحاد المخاطبين- الذين صدر عنهم الحوار- برز الصوت الجماعي في الحوارات القرآنية بروزاً لافتاً، ودلّ على رأي أو موقف جمعي توحدت فيه ومن أجله مجموعة من الأفراد، ويؤكد هذا التعميم في طرح الشخصية لنماذج قد تتكرر في كل زمان ومكان ، **فالصوت الجمعي**: مزيج من الأصوات وحدتها المقولة الحوارية. يظهر هذا جلياً في قوله تعالى في معرض قول إخوة يوسف-عليه السلام-: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ سورة يوسف، آية: (١٧)، **ومقولة النسوة:** ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٣٠).

- **فالوا:** ﴿قَالُوٓا۟ أَضْغَـٰثُ أَحْلَـٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَـٰمِ بِعَـٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ سورة يوسف، أية: (٤٤).

- **فالوا:** ﴿قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ﴾ سورة يوسف، آية: (٩٠).

- **قلن:** ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ سورة يوسف، أية: (٣١).

المظهر الثاني: الحوار **السلبي**: فيه طرف فعال فقط، والطرف الآخر فقط متلقٍ لا تسمع منه إجابة، ومن مثل **الحوار أحادي الطرف:** ويظهر ذلك جلياً بعد أن دخل يوسف-عليه السلام- السجن، ودخل معه فتيان، وبعد أن قص كل واحد حلمه بدأ يوسف-عليه السلام- يخاطبهما محاوراً. قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة يوسف، الآيات من: (٣٧-٣٩)، يظهر الحوار أحاديا لا تسمع فيه إلا صوت يوسف-عليه السلام-.

ج- الحوار بين جنسين مختلفين :

ويقصد به الحوار الذي يكون بين أجناس ومخلوقات مختلفة نحو:

- حوار الإنس مع الجن، ومثل هذا الحوار ما كان مع سليمان-عليه السلام- عندما أراد إحضار عرش الملكة مع عفريت[1] من الجن، قال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ سورة النمل، الآيتان: (٣٨ - ٣٩).

- حوار الإنس مع الطير، ونذكر هنا الحوارات التي اختص بها نبي من أنبياء الله هو: سليمان -عليه السلام- مع الهدهد، وهي حوارات حقيقية تبرز عظم النعمة التي أسبغها الله -سبحانه وتعالى- على نبيه سليمان- عليه السلام-، فقد سخّر له ما في الكون لخدمته، ومكّنه من التواصل اللغوي معها[2]، وظهر في حوار سليمان-عليه السلام- مع الهدهد في سورة النمل.

[1] - "ومعنى (عِفْرِيتٌ) حسبما يستخلص من مختلف كلمات أهل اللغة أنه اسم للشديد الذي لا يصاب ولا ينال، فهو يتقى لشره، وأصله اسم لعتاة الجن، ويوصف به الناس على معنى التشبيه." ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ج١٩، ص٢٦٤

[2] - لغة الحوار. فوز نزال، ص ٤٧

٣- الحوار القرآني من حيث المباشرة وعدمها

ظهر الحوار القرآني في أكثر من صورة على النحو الآتي:

أ – خطاب مباشر خارجي-الديالوج-: وظهر على عدة أضرب منها:

الضرب الأول: الحوار بين الشخصيات، وسنقف عند كثير من النماذج في هذه الدراسة.

الضرب الثاني: كان من وراء حجاب ، وظهر في خطاب بعض الأنبياء مثل قوله تعـالى: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة القصص، آية: (٣٠)، وعلى سبيل الإلقاء نحو قولـه تعـالى: ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾ سورة النساء، آية: (١٦٤) ، وفي قوله-عز وجـلّ-: ﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة طه، الآيات مـن (١١-١٤)، وقولـه تعـالى: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ سورة الأعراف، آيـة: (١٤٤)، وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة الشعراء، آية: (١٠).

الضرب الثالث: الحوار التلقيني، ومن أمثلته الحوار الذي وجهه ا إلى رسوله محمد –صلى الله عليه وسلم- متلقي الوحي ليقوم بتوجيهه إلى الطّرف المقصود بصيغة الأمر **(قل)**، والحـوار التلقيني ظهر في خطاب رسول ا –صلى الله عليه وسلم-" إنّه الخطـاب المميـز بـين الـذات المحمدية والوحي القرآنـي"[1]، وفي ثنايا قصص القرآن ظهر الإلقاء من ا تعالى إلى رسـله، ففي قصة موسى – عليـه السلام – قال تعالى: ﴿ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ سـورة

[1] ـ انظر: لغة الحوار، ص ٥٢ـ٥٤

الشعراء، آيـة : (١٦)، و فـي قولـه تعـالى: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة طه ، الآيتان: (٤٣-٤٤) .

ب – خطاب غير مباشر ظهر على عدة أضرب هي:

الضرب الأول: حديث النفس أو التأمل-: ونقصد به الحوار الذي يدور بين الشخص وذاته، فيكون مرسلاً ومستقبلاً في الوقت ذاته، وتكون داخل النفس البشرية يكشف عنها السياق، وتفنن القرآن الكريم بعرض هذه المشاهد بطرق إعجازية نحو: المشهد الحواري الذي دار بين يوسف - عليه السلام - وأخوته: ﴿ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٧٧)، مقولـة داخليـة كانت في نفس يوسف -عليه السلام- حددتها وقفة الوصف التي شاركت الحوار في إبراز مـا بداخل يوسف-عليه السلام- إذ جاءت ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ ﴾ سورة يوسـف، آيـة: (٧٧).

الضرب الثاني : الدعاء: وهو" شكل من أشكال الحوار الأحادي في القرآن حيـث يتوجـه المخلوق إلـى ا تعالى بالدعاء، وتتمثّل استجابة ا بتنفيـذ الطّلـب وتحقيقـه لا فـي الـرد الكلامي"[1]. وقد يكون الدعاء سرا ويظهر هذا في دعاء يوسـف-عليه السلام- لربه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آية : (33)، وكانت الاستجابة: ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة يوسف ، آية : (٣٤). ونحو زكريا -عليه السلام- لما بشرته الملائكة بيحيى-عليهما السلام-، فطلب من ربـه آيـة، فأمره ا أن لا يكلم الناس إلا رمزاً. قال تعـالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة آل عمران، آية: (٤١)، ويتكرر أمر

[1] - لغة الحوار، ص٥٤

ا : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾ ﴾ سورة مريم، آية: (١١)، ومريم - عليها السلام - التي وجهها ا إلى كيفية مواجهة قومها بابنها عيسى- عليه السلام- الذي أنجبته بلا أب: ﴿ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة مريم، الآيات: (٢٦-٢٩).

الضرب الثالث: أخذ شكل الوحي الذي اتخذ صورتين هما: **وحي داخلي**– ما يلقى في القلب –، **و وحي خارجي**– بوساطة الملائكة –، ويقصد **بالوحي الداخلي:** " الكلام الخفي الذي يدور في نفس الموحى إليه ويتفاعل مع هواجسه ومشاعره حافزا إياه إلى التصرف والتنفيذ الفعلي أو القولي وليس وحي الأنبياء"[1]. ومن أمثلة ذلك ما جاء في سرد قصة يوسف -عليه السلام- بعد أن ألقاه إخوته في الجب قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة يوسف، آية : (١٥)، ويظهر جلياً من خلال سرد قصة موسى- عليه السلام- مع السحرة، قال تعالى: ﴿ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ ﴾ سورة طه، آية: (٦٧-٦٩).

ويقصد **بالوحي الخارجي: توجيه الخطاب الإلهي بواسطة الملائكة**. مثال: حوار الملائكة لزكريا ومريم -عليهما السلام- قال تعالى : ﴿ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ

[1] - لغة الحوار. ص ١٣

ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة آل عمران، الآيات: (٣٩-٤٦).

ووجه ا -عز وجلّ- خطابه إلى محمد –صلى ا عليه وسلم- بوساطة الوحي جبريـل-عليه السلام-" الذي كان يتمثل بصورة بشرية حينا وبصورة الملائكة حينـا آخـر، ولا يظهـر الوسيط في النص القرآني، فيبدو الخطاب الإلهي موجها إلى الرسول توجيها مباشـرا، وعلـى الرسول أن يوصل هذا الخطاب إلى الناس"[1]، وهذا كثير في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ ﴾ سـورة الجـن، آيـة: (١)، وفـي قولـه تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٣).

[1] - لغة الحوار، ص ١٤

الفصل الثاني: الأسلوب في الحوار في القرآن الكريم

أولا: الالتفات في الحوار القرآني ٢١

ثانيا: الإيجاز في الحوار القرآني ٢٤

ثالثا: العدول في الحوار القرآني ٢٩

رابعا: التكرار في المقولات الحوارية في القرآن الكريم........................... ٣٦

الأسلوب في الحوار في القرآن الكريم

للحوار دور مهم في رسم الشّخصيات بدقّة وعناية، وإظهار أبعادها الثلاث: البعد الـداخلي والبعد الخارجي والبعد الاجتماعي. وكان من أهـم مـصادر الإثـارة والتـشويق إذ وصـل الشخصيات بعضها ببعض وصلاً صريحاً مباشراً، وساعد الحوار علـى تطـوير الأحـداث والكشف عن مشاعر الشّخصيات وأحاسيسها وعواطفها بالنّسبة للأحداث المتـصاعدة. وكـان الحوار طبيعياً مناسباً للشخصيات التي تتحدث به، وللموضوع الذي يقال فيه إذ ابتعـد عـن الإطالة وكان سريعاً وقصيراً وموجزاً وبليغاً، وتحاول الدراسة عرض بعض الأساليب أثنـاء دراسة الجملة الحوارية في النص القرآني، ومن ثم دراسة الخطاب الذي ورد بها أثناء التحليل ابتداء بأصغر عنصر وهو الصوت، ثم انتقالا إلى الدلالة -أشير هنا إلى الـشكل الخـارجي للألفاظ وما تحتمله من معان ضمنية يحتملها النص دون إقحامها أو فرضها مع التركيز علـى القواعد والقوانين التي تشكل النظم القرآني، والذي بدوره يخضع إلى النظم المعروف في اللغة العربية، ولا يتجاوزها إلى غير المعهود مع إكساب الألفاظ دلالات إسلامية جديدة.

وفيما يأتي توضيح لهذه الأساليب:

أولا: الالتفات في الحوار القرآني

الالتفات هو: " نقل الكلام من إحدى طرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طريق آخر منها. وهو بمجرده معدود من الفصاحة .. من أفانين البلاغة، وكان معدودا عند بلغاء العرب من النفائس"[١]، ومن فوائده الأسلوبية أنه يعتني كثيرا بالمتلقي إذ يبقى على اتصال مع المتلقي بعفوية دون إجهاد عقلي كبير بل هو يتنقل ببراعة ويقفز دون أن يشعرك بهذه القفزات، "ولأهل البلاغة عناية بالالتفات لأن فيه تجديد أسلوب التعبير عن المعنى بعينه تحاشيا من تكرر الأسلوب الواحد عدة مرات فيحصل بتجديد الأسلوب تجديد نشاط السامع كي لا يمل من إعادة أسلوب بعينه"[٢]. نحو تحول الخطاب عن المثنى إلى خطاب الواحد عندما قال فرعون: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة طه، آية: (٤٩)، إذ كان الخطاب إلى موسى وهارون في (رَّبُّكُمَا) ثم تحول إلى موسى وحده (يَٰمُوسَىٰ) ، ومن فوائد الالتفات[٣]في الآية:١- الأمر موجه إلى موسى -عليه السلام- **٢-** زيادة الضغط من فرعون على موسى -عليه السلام- وفي هذا الضغط **يحاول فرعون إرباك موسى** وتحويله عن الهدف الأساسي الذي جاء له وهو: ﴿ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ﴾ سورة طه، آية: (٤٧). **٣**-ثم زيادة الضغط من فرعون على موسى-عليه السلام- **بتذكيره:** ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآيتان: (١٨-١٩)، وفي معرض قوله تعالى مخاطبا موسى وهارون: ﴿ **فأتيا** **فرعون** **فقولا: إنا رسول رب العالمين** ﴾ سورة الشعراء آية (١٦) فعبر بالمثنى عن المفرد، إذ جاء الأمر بصيغة المثنى (**فأتيا ، فقولا**) إلى كل من: موسى وهارون-عليهما السلام-، ثم التفت الأمر بعد

---

[1] - التحرير والتنوير، ج ١ . ص ، ١٠٧ ، وقد عرض ابن عاشور ضابط أسلوب الالتفات عند العرب، وفصل في ذلك كثيرا، للاستزادة انظر: التحرير والتنوير، ج١، ص ١٧٦

[2] - المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٦

[3] - انظر: لغة الحوار، ص٢٤٢، و التحرير والتنوير، ج١٩، ص١٢٣، و في ظلال القرآن، ج٥ ، ص ٣٤١

الضمير(**إنا**) بالتخصيص إلى موسى-عليه السلام- بقوله تعالى: (**رسول**)، ومـن أمثلـة الالتفات: ما جاء على لسان العزيز وهو يخاطب امرأته ويوسف منقلا مقولتـه بينهمـا:

﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة يوسف ، الآيتان : (٢٧-٢٩) ، وكذلك مـن صور الالتفات في القرآن الكريم ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ سـورة يوسـف، الآيتـان: (٤٦،٤٥)، و تفسر فوز نزال هذا الالتفات على النحو الآتي:" حيث دلـت مقولـة الـسجين الناجي على تحول المتحدث بحديثه عن المخاطبين المتمثلين في الملـك وحاشـيته إلـى يوسف -عليه السلام- وعلى انتقاله من مكان إلى مكان، من قصر الملك إلى السجن دون اعتراض بالسوء الموضح أو المفضل، فقد حقق الالتفات في الحوار الانتقـال، والتحـول دالا على حذف التفصيلات وطيها بين جزئي المقولة. ويوحي هذا الالتفات بلهفة المـتكلم للوصول إلى يوسف -عليه السلام- للحصول على تأويل لرؤية الملك، فكأنه قفز أو طار إلى سجن يوسف فإذ به بين يديه يقص عليه الرؤيا"[1].

وفي نموذج آخر للالتفات نرى أن الطاهر عاشور عرض إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ سورة الأنعام، آية: (٩١)، **موضحا الالتفات على أساس اختلاف القراءات قائلا:**" كـون قـراءة (تَجْعَلُونَهُۥ

[1] ـ لغة الحوار، ص٢٥٠

قَرَاطِيسَ) بالفوقية[١] جارية على الظاهر، وقراءته بالتحتية من قبيل الالتفات ونكتته أنهم لما أخبر عنهم بهذا الفعل الشنيع جعلوا كالغائبين عن مقام الخطاب، والمخاطب بقوله: (وَعُلِّمْتُم) على هذا الوجه هم اليهود، فتكون الجملة حالا من ضمير(تَجْعَلُونَهُ)، أي تجعلونه قراطيس تخفون بعضها في حال أن الله علمكم على لسان محمد ما لم تكونوا تعلمون، ويكون ذلك من تمام الكلام المعترض به، ويجيء على قراءة (يجعلونه قَرَاطِيسَ) بالتحتية- أن يكون الرجوع إلى الخطاب بعد الغيبة التفاتا أيضا- وحسنه أنه لما أخبر عنهم بشيء حسن عاد إلى مقام الخطاب، أولأن مقام الخطاب أنسب بالامتنان"[٢].

---

[1] - وقصد بالفوقية أي: بالتاء " تجعلونه "، وقد قرأها بالياء ابن كثير وأبو عمرو البصري، وقرأ الباقون بالتاء، انظر: الداني، الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو. التيسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي، بيروت،لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م، ج ١، ص ٧٨

[2] - التحرير والتنوير، ج ٦، ص٢١

ثانيا: الإيـجاز في الحوار القرآني

يعد الإيجاز من الإبداعات اللغوية في القرآن الكريم لما له من دور بـارز فـي إيـصال الرسالة مركزة من المرسل إلى المتلقي بأقل عدد ممكن من الكلمات دون أن يحدث ذلك لبسا أو اختلاطا في فهم المعنى، وتجد المقولات الحوارية في القرآن الكريم مركزة وموجزة وبليغة مع احتفاظها بالوظيفة الجمالية،" إن الوظيفة الجمالية في الأداء الفني تتقدم على ما سواها من الوظائف الأخرى ما يطلق عليه جمالية التوصيل، لا تعني أن التوصيل مقصود لذاته، وإنمـا هي مزيج من الجمالية والتوصيل، والخصائص التي تميز وظيفة الأداء اللغوي،ومن ثم تحديد طبيعته وجماليته هي المتقدمة في النص، فنحن إزاء أداء فني، ولا يعنى أن الكـسر المطلـق للأداء النمطي إبداع وجمال أدبي، لأن التمزيق الجمالي، أو الانتهاك المتعمـد لـيس غايـة مقصودة لذاتها، وإنما غاية تأديبية الدلالات الجمالية التي يمكن تأديتها من خلال تجاوز الأداء النمطي، إن الخصائص التي تميز وظيفة الأداء اللغوي، ومن ثم تحديـد طبيعتـه الفنيـة أو النمطية، إنما يكمن في الخصائص النوعية للتشكيل اللغوي، وليـست عائـدة إلـى ظـواهر خارجية، ولا يعنى هذا أن فنية الأداء تعنى تغييرا شكليا يتصل بالألفاظ، ولكن تغيـرا دلاليـا جماليا في آن معا، وتتجاوز فيه دلالتان: **إحداهما** إلى إقرار العام في الأداء النمطي. وتميـل **الثانية** إلى معنى خاص يحتوى الدلالة السابقة ويتجاوزها. إن الانحراف المتعمد في تركيـب الأداء الفني، ويتسم بخصوصية معينة لا يعنى تغييرا لفظيا تستقل فيه المفردات عن سـياقاتها يكون انحراف الإيجاز عن المساواة بتقليل اللفظ مع المحافظة على أصل المعنى"[1]، لذلك عـد الإيجاز من أقوى الأساليب البلاغية لما فيه من فوائد في تقديم المعنى واستحضاره، ومن فوائد الإيجاز:

١ - إحضار المعنى بأقل ما يمكن، وهو كثير في القرآن، ومن أمثلته في قولـه تعـالى: ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ سـورة يوسـف، آيـة: (٨٢)، ويذكر الرماني جوانب جمالية في الحذف ففي حديثه عن الإيجاز" يرى أنه ينقـسم قـسمين: ويهمنا إيجاز الحذف وهو يعني: إسقاط الكلمة بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام، ويقول

[1] - الوائلى، عبد الكريم. الخطاب النقدي عند المعتزلة، قراءة في معضلة المقياس النقدي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٧م، ص١١٦-١١٨

الرماني فيما نقله عن ابن رشيق: بأنه مطابق لفظه لمعناه لا يزيد عليه ولا يـنقص عنـه، إن إعجاز الآية الكريمة.. مبني على الحذف والاختصار وقرن البلاغة ببعد كمي أي تقليل ألفاظ الكلام بحذف بعضه، ومعانيه بحالها"[1].

ويرى الرماني:" أن الحذف أبلغ ويحقق الوظيفة التعبيرية في إيصال المعنى إلى المتلقـي ولكنه ليس بتحقيق اللفظ على المعنى لا يزيد عليه ولا ينقص تكملة، وإنما هو توصيل يعتمـد الإيحاء على ضربين هما:

١- إيحاء النص بتعدد الدلالات المحذوفة .
٢- إيحاء جمالي متصل بالنفس تخيلا وتصورا ويكون في الحذف توسع دلالي لآن إيجـاز الحذف أحد وظائفه التوسع في الدلالة"[2].

ومن أمثلة الإيجاز من خلال إيحاء النص بتعدد الدلالات المحذوفة في قوله تعالى علـى لسان النملة، قـال تعـالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ سورة النمل، آية: (١٨)، قول النملة إيجاز: لأنها: بلفظـة **(يا)**: نادت، و**(أيها)** نبهت، **(ٱلنَّمۡلِ)** عينت **(ٱدۡخُلُواْ)** أمرت، **(مَسَٰكِنَكُمۡ)** نـصت **(لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ)** حذرت، **(سُلَيۡمَٰنُ)** خصت، **(وَجُنُودُهُۥ)** عمت، **(وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ)** اعتذرت، فيا لها من نملـة ذكية[3]! انظر إلى هذه الآية كم حملت من إعجاز وكيف كان مشهد النمل حوار النملـة مـع جماعـة النمل، إذ استخدمت النداء ثم فعل الأمر، ثم الفعل المضارع فاجتمع في هـذه الآيـة منتهـى

---

[1] - الخطاب النقدي عند المعتزلة، ص١١٦- ١١٨

[2] - المرجع السابق، ص١١٦-١١٨

[3] - انظر: قطب، سيد. في ظلال القـرآن، دار الـشروق، بيـروت، ط١، ١٩٨٢م، ج٥ ، ص٣٧٧- ٣٧٨، والنابلسي، محمد راتب. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات ا فـي الأفـاق، دار المكتبـي، عمان، الأردن، ص ٤٠٢-٤٠٥، و ابن كثير،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم، تحقيـق: سامي محمد سلامة، دار طيبة، الرياض، ط٢، ١٩٩٩م، ج٣، ص ٤٣٥

البلاغة في دقة الوصف، ودقة نقل الخبر وسرعته، فهي كلمات مـوجزة تحمـل مـدلولات عظيمة.

ومن أمثلة الإيجاز من خلال الإيحاء الجمالي المتصل بالنفس تخيلا وتصورا قوله تعـالى: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠)﴾سورة الأعراف، آية: (١٦٠)،

فبعد أن طلب قوم موسى -عليه السلام- السقيا، والاستسقاء: طلب الماء عند عدمه أو قلته- جاء أمر ا تعالى أن يضرب بعصاه الحجر ينفجر منه الماء، في الآية كلام محذوف يمكـن تقديره على نحو: فقلنا له ، وفائدة الحذف الإيجاز، وفي سرعة استجابة الطلب وتنفيذه دلالـة صدق موسى –عليه السلام– ومعنى: " (فانبجستْ) .. وهو الانفتاح بسعة وكثرة . . وليجعـل الانبجاس مسبباً عن الإيحاء بضرب الحجر للدلالة على أن الموحى إليه لم يتوقف عن إتبـاع الأمر، وأنه من انتفاء الشك عنه بحيث لا حاجة إلى الإفصاح به"[1].

ومن صور الإيجاز في القرآن الكريم من حيث التوسع الدلالي قولـه تعـالى:﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَى (٦٠)﴾ سورة طه، آية: (٦٠)، إذ تصور الآية" كل ما قاله فرعـون وما أشار به الملأ من قومه، وما دار بينه وبين السحرة من تشجيع وتحميس ووعد بالمكافـأة، وما فكر فيه وما دبر هو ومستشاروه . . فتولى فرعون، فجمع كيده، ثم أتى. وتـصور تلـك

---

[1] - الزمخشري، أبو القاسم جار ا محمود بن عمرو. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيـل وعيـون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيـروت، لبنان، ج ٢، ص ١٥٩

الآية الواحدة القصيرة ثلاث حركات متوالية: ذهاب فرعون، وجمع كيده، والإتيان به"[1]. ففـي الآية السابقة ﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ ﴾ سورة طه، آية: (٦٠)، أفاد الإيجـاز في الآية بالكشف عن أعماق نفسية فرعون يوحى بها السياق ومفادها: أن الجمع كان أهـون على فرعون من مواجهة موسى-عليه السلام- فدلت الفاء في قوله:(فَجَمَعَ) إلى سرعة تحقق الجمع لكونه جبارا يخشى سطوته الجميع، فأمره بالجمع نافذ وسريع، وهو مع ذلـك يعـيش هزيمة نفسية كبيرة في داخله من مواجهة موسى-عليه السلام - لذا عبر القـرآن عـن هـذه الهزيمة النفسية بحرف التراخي **(ثُمَّ)** بقوله: (ثُمَّ أَتَىٰ).

ومن صور الإيجاز في المقولات الحوارية ودوره في تجسيد المشاهد، واختصار الزمن ما كان من مشهد موسى–عليه السلام– وهو يتلقى أمر التبليغ والرسالة من ربـه، ثـم الانتقـال مباشرة إلى مشهد موسى وهارون-عليهما السلام- يخاطبان فرعون و يحاورانه، قال تعالى في تـصوير المـشهدين: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآيات: (١٥-١٨)، يقول سيد قطب: "هنا نحن أمام مشهد البعثة والوحي والتكليف، ولكن الستار يسدل .. ويعجب فرعون وهو يرى موسـى يواجه بهذه الدعوى الضخمة: (إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ)، ويطلب إليه ذلك الطلـب الـضخم! (أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ)، فإن آخر عهده بموسى أنه كان ربيباً في قصره منذ أن التقطوا تابوتـه، وأنه هرب بعد قتله للقبطي الذي وجده يتعارك مع الإسرائيلي، وقيل: إن هذا القبطي كان من حاشية فرعون. فما أبعد المسافة بين آخر عهد فرعون بموسى إذن وهذه الـدعوى الـضخمة التي يواجهه بها بعد عشر سنين! ومن ثم بدأ فرعون متهكماً مستهزئاً مستعجباً: ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ

---

[1] - في ظلال القرآن، ج٥، ص ١٢٦

فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ ســـــورة الشعراء، الآيتان: (١٨-١٩)"[1].

وبناء على تلك النماذج من الإيجاز في المقولات الحوارية في القرآن الكريم، وما كان لـه من إيحاءات، أخلص إلى بعض من أهمية الإيجاز من تقديم إيحاءات النص بتعـدد الـدلالات المحذوفة، وعرض الإيحاء الجمالي المتصل بالنفس تخيلا وتصورا، ومـن فوائـده التوسـع الدلالي، ودوره في تجسيد المشاهد، واختصار الزمن، ومتابعة الأحداث، و جـذب المـستمع (المتلقي)، وتشويقه، وإثارة عواطفه، دون أن يكون في هذا الإيجاز خلـل أو تـشتيت عـن الحوار بين الفئات المختلفة، بل هو تركيز للمقولات الحوارية، وجمع بينها من خلال وقفـات وصفية محدودة كاشفة عن مدلولات الجمل، وعن نفسيات أصحابها، حتى أن الوقفة الوصـفية في ذاتها كانت موجزة ومركزة.

[1] - في ظلال القرآن، ج٥، ص٣٤١

ثالثا: العدول في الحوار القرآني

من الأساليب اللغوية التي تكسب النص قوة وجمالا العدول الذي يعد " تفننا في الكلام وتصرفا فيه يكسب النص قيمة جمالية، وينبه إلى أسرار بلاغية كثيرة، وهو من فنون التواصل بين المبدع والمتلقي، لأنه يبرز إمكانات المبدع في استعمال الطاقة التعبيرية الكامنة في اللغة؛ فالخروج على خلاف مقتضى الظاهر يرتبط بخروج معان جديدة يهدف إليها المتكلم عند كلامه، وهو يقطع رتابة النص بما يضمنه من تحولات في التراكيب تثير دهشة المتلقي وتلفت انتباهه، وذلك بكسر أفق التوقعات لدى المتلقي من خلال حركة التراكيب في موضعها وتحورها تحورا غير مألوف يبرز دلالة فيها كثير مما لا يتوقعه المتلقي، ويسهم في تفاعل المعاني وتوالد الدلالات، فالنصوص الإبداعية نصوص مفتوحة قابلة لمستويات متعددة في القراءة"[1].

ومن أمثلة العدول في القرآن الكريم:

١- العدول في استخدام أسماء الإشارة بما يتناسب مع المواقف الحوارية:

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ سورة يوسف، آية: (٣٢)، أشارت النسوة إلى يوسف بـ(هذا) في قولهن ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٣١)، في حين عدلت امرة العزيز عن الإشارة بالقريب إلى الإشارة بالبعيد (ذلك) في قولها: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ﴾ سورة يوسف، آية: (٣٢) ولم تقل " فهذا الذي لمتنني " فتطابق إشارتها إشارة النسوة في الصيغة والأداء.

ويظهر لنا سبب العدول في معرفة الفرق الدلالي بين الإشارتين، فإشارة النسوة إلى يوسف إشارة ترسم المظهر العام ليوسف في حسن جماله، بينما إشارة امرأة العزيز هي أبعد

[1] - الهتارى، عبد ا على. العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم،رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ص٣٠-٣١

من حسن خلقه وطهارته، ونجد الإشارة في هذين الاسمين تحمل دلالة التفضيل، كما نفاضل بين أكبر وكبير"[1]. أضف إلى ذلك الأسلوبية التعبيرية للأصوات وتكرار النون (أَكۡبَرۡنَهُۥ .. وَقَطَّعۡنَ .. وَقُلۡنَ .. فَذَٰلِكُنَّ .. لُمۡتُنَّنِي .. كَيۡدَهُنَّ .. إِلَيۡهِنَّ) نجد للحروف أرواحا ومعاني على مستوى الأصوات المفردة ومستوى السياق الصوتي الكلى للآية، فالرمزية الصوتية لتكرار حرف النون المشدد (وهو حرف لثوي طبقي أنفى مجهور) أدت إلى إيقاع وإشعاع خاص في سياق أحداث السورة وكأن الصوت (فَذَٰلِكُنَّ .. لُمۡتُنَّنِي .. كَيۡدَهُنَّ .. إِلَيۡهِنَّ) يخرج من أعماق صدر امرأة العزيز والتي هي بهذا المكر للنسوة أرادت أن تنتقم لذاتها فلما رأينه: أكبرنه .. قطعن أيديهن .. قلن بصوت واحد: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ سورة يوسف، آية: (٣١)، جاء جوابها تأكيدا قاطعا لما في خلجات نفسها من رغبتها في الانتقام من قول النسوة. فعدلت عن اسم الإشارة هذا إلى (فَذَٰلِكُنَّ) الذي كان له دوره على المتلقي في توضيح الصورة الفنية لشخصية امرأة العزيز من جميع أبعادها: البعد الاجتماعي، البعد الخارجي، والبعد النفسي الواضح في اسم الإشارة والفعل (لمتنني).

٢- العدول في حرف العطف :

ظهر هذا الضرب من العدول في بعض المقولات الحوارية بين الشخصيات في القرآن الكريم، ومن أمثلته ما كان في الحوار الذي دار بين موسى –عليه السلام– وفرعون في سورة طه في جملة الوصف الآتية:﴿ فَتَوَلَّىٰ فِرۡعَوۡنُ فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ٦٠﴾ سورة طه، آية: (٦٠)، عندما كذب و تولى وأعرض فرعون تصف الآية ردة فعل فرعون بالأفعال:[2] (فَتَوَلَّىٰ .. فَجَمَعَ .. ثُمَّ أَتَىٰ)" لما تواعد هو وموسى -عليه السلام- إلى وقت ومكان معلومين تولى، أي شرع في جمع السحرة من مدائن مملكته، كل من ينسب إلى السحر في ذلك الزمان، وقد كان السحر فيهم

[1] - العدول النحوي والسياقي في القرآن، ص١٧٠
[2] - انظر: العدول النحوي والسياقي، ص ٢٥٤-٢٥٥

كثيراً جداً، كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ٱئۡتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ﴿٧٩﴾﴾ سورة طه، آية: (٧٩)، ثم أتي، أي: اجتمع الناس لميقات يوم معلوم وهو يوم الزينة"[1]، وكان الجمع قال تعالى: ﴿فَجَمَعَ كَيۡدَهُۥ﴾ سورة طه، آية: (٦٠)، " وقيل: هو من كلام فرعون، والظاهر أنه من كلام السحرة بعضهم لبعض. وقرأ الجمهور (فأجمِعوا) بقطع الهمزة وكسر الميم من أجمع رباعياً أي: اعزموا واجعلوه مجمعاً عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخاف واحد منكم المسألة المجمع عليها"[2]. عدل عن حرف العطف**(الفاء)** إلى حرف العطف (**ثم**) الذي يفيد التراخي، وكان مقتضى السياق يقول فتولى .. فجمع كيده فأتى، خاصة أن جمع الناس وحشدهم والإعداد للمواجهة يحتاج إلى مهلة من الزمن، في حين الإتيان بعد ذلك هو أيسر وأسهل، فمثل هذا السياق خروجا عن مقتضى الظاهر، وذلك لدلالة نفسية عميقة يوحى بها السياق ومفادها: أن الجمع كان أهون على فرعون من مواجهة موسى- عليه السلام- فدلت الفاء في قوله: (فَجَمَعَ) إلى سرعة تحقق الجمع لكونه جبارا يخشى سطوته الجميع، فأمره بالجمع نافذ وسريع، وهو مع ذلك يعيش هزيمة نفسية كبيرة في داخله من مواجهة موسى-عليه السلام - لذا عبر القرآن عن هذه الهزيمة النفسية بحرف التراخي **(ثُمَّ)** بقوله: (ثُمَّ أَتَىٰ)، إلى هذه النكتة في العدول أشار أبو السعود بقوله: "وفى كلمة التراخي إيحاء إلى أنه لم يسارع إليه، بل أتاه بعد لأي وتلعثم"[3].

٣- العدول عن الجمع إلى التثنية ثم من المثنى إلى المفرد :

قال تعالى: ﴿كَلَّاۖ فَٱذۡهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسۡتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ سورة الشعراء، الآيتان: (١٥-١٦)، بدأ بالتثنية **(اذهبا)**، ثم عدل إلى خطاب الجمع(مَعَكُم **)**، ثم عدل إلى خطاب التثنية مرة أخرى (فَأۡتِيَا فِرۡعَوۡنَ فَقُولَآ) فأصبح خطاب الجمع (مَعَكُم) يمثل

---

[1] - تفسير ابن كثير، ج٣، ص١٩٢

[2] - أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ، ج٦، ص١٨٧

[3] - المرجع السابق. ص ٢٥٤-٢٥٥

عدولا لأصل سياقي سابق، وهو في الوقت نفسه يمثل أصلا سياقيا لعدول لاحـق، فموسـى- عليه السلام- خاف من فرعون وقومه، ولا يخاف التكذيب فحسب، بل يخاف القتل من قبلهم، فالسياق كله خوف وتضرع ومناجاة، انظر إلى هذه الجملـة الحواريـة: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ سـورة الـشعراء، الآيتان: (١٢-١٦)، فكان الخطاب بالجمع من قبل التناسب المعنوي في السياق ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة الشعراء، آية: (١٥)، وتحدث -ا تعالى- عن نفسه بضمير الجمع (مُّسْتَمِعُونَ) لما فيه من مزيد تأكيد وطمأنينة بالجمع في مقام شدة الخوف، وفيه مزيد تعظـيم وتكـريم لموسـى وهارون أن نزلهما منزلة الجمع إمعانا في بث الثقـة والطمأنينـة الكاملـة لهـم"[1]، ويقـول الزمخشري في قوله تعالى : ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة الشعراء، آية: (١٥) " من مجاز الكلام، يريد: أنا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه إذا حضر، وأستمع ما يجري بينكما وبينه، فأظهركما وُأغلبكما، وأكسر شوكته عنكما وأنكسه"[2].

وفي الآية عدول من التثنية إلى المفرد في قوله تعـالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة الشعراء، آية: (١٦)، يقول سيد قطب:" اذهبا﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ ﴾ فأخبراه بمهمتكمـا في غير حذر ولا تلجلج: ﴿ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وهما اثنان ولكنهما يذهبان في مهمة واحدة برسالة واحدة، فهما رسول -رسول رب العالمين- في وجه فرعـون الـذي يـدعي الإلوهية، ويقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ سورة القصص، آية: (٣٨)، فهي المواجهة القوية الصريحة بحقيقة التوحيد منذ اللحظة الأولى، بلا تدرج فيها ولا حذر، فهي حقيقة واحدة

[1] - انظر العدول النحوي والسياقي، ص ٢٦٥-٢٩٨

[2] - تفسير الكشاف. ج٣، ص ٣١٠

لا تحتمــل التــدرج والمــداراة ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآيتان: (١٦-١٧)"[1]، عدل من التثنية في فعل الأمر (فَقُولَآ) أي: موسـى وهارون –عليهما السلام– إلى المفرد(رَسُولُ) وهو موسى-عليه السلام – وحده، وعلى هـذا يكون تفسير العدول ناتجا عن سببين هما:

١- أنها رسالة واحدة جاء بها موسى وهارون-عليهما السلام- ومهمة واحدة.

٢- أن الخطاب موجه بتخصيص الرسالة إلى موسى -عليه السلام- وحده.

وكلا السببين مرجح إلا أن العدول أضفى قوة في الحوار، وقراءة النص تحتمل أكثر من معنى دون تعارض، فهذا من إعجاز القرآن الكريم.

[1] - في ظلال القرآن، ج٥، ص ٣٤١

٤- العدول في الجمل الحوارية:

كثيرا ما نجد التعبير القرآني يعدل عن الجملة الاسمية إلى الجملة الفعلية، والعكس في سياقاته المختلفة مؤديا بهذا التحول دلالات تفهم من السياق نفسه، والعدول في الجمـل علـى نمطين:

أ- **العدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية مسبوقة بـ (كان) في أسلوب إنشائي أو خبري**، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ سـورة الأعراف، آيـة: (١١٥)، لقد كان المطابق لكلامهم (إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ) أن يقولوا: وإما أن نلقـى لكـنهم عدلوا عن ذلك إلى قولهم: (وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحۡنُ ٱلۡمُلۡقِينَ)، وفى قولهم ما يدل على رغبتهم في أن يلقوا قبله، من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل، وتعريف الخبر وإقحـام الفـصل، ويكـون جواب موسى ﴿ قَالَ أَلۡقُواْۖ ﴾ سورة الأعراف، آية: (١١٦)، وبذلك حقق لهم رغبتهم في أن يلقـوا أولا وذلك قلة مبالاة بهم وثقة بما عنده من تأييد سماوي وأن المعجزة لن يبلغها سحر أبدا.

ومن صور العدول في الجمل الحوارية عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية مسبوقة بـ (**كان**) في أسلوب إنشائي أو خبري قوله تعالى على لسان سليمان -عليه السلام-: ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة النمل، آية: (٢٧). كان السياق: أصدقت أم كذبت لكنه عدول عن الجملة الفعلية إلى الجملة الاسمية فقال: (أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ)، ورأى آخرون أن قولـه: (أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ) في دلالة على ترجيح جانب الكذب في حق الهدهد من مثل ما قاله ابـن عاشور: "وإقحام كنت أدخل في نسبه إلى الكذب من صيغة أصـدقت لأن فعـل لكنـت مـن الكاذبين مفيد الرسوخ في الوصف الانخراط في سلك الكاذبين، بأن يكون الكذب عادة له إيذان بالتوبيخ والتهديد وإدخال الروع عليه بأن كذبة أرجح ليكون الهدهد مغلبا الخوف على الرجاء،

وذلك أدخل في التأديب على مثل فعلته وفي حرصه على تصديق نفسه بأن يبلغ الكتاب الـذي يرسل معه"[1].

ب- **العدول عن الحركة الإعرابية**: نحو قولـه تعـالى:﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآيـات: (١٠-١٣)، يفسر عبد الكريم الوائلي هذا العدول بقوله:" حصل عدول عن النصب بالعطف على المضارع المنصوب (يكذبون) فيكون السياق: (**ويضيقَ صدري ولا ينطلقَ لساني**) فحصل العدول عن النصب إلى الرفع (وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى)، وفي هذا العدول بلاغة وإعجاز[2]" لما في الفعل المضارع من تصوير حقيقـي، وتجسيد فعال لحال موسى–عليه السلام– فهو يعبر عما يختلج في صدره، وبالتالي يعجز لسانه عن النطق والتعبير، حتى أنه صور لسانه بأنه فرس يريد الانطلاق، ويعلل الزمخشري حالتي الرفع والنصب على النحو الآتي:" ويضيق وينطلق، بالرفع؛ لأنهما معطوفان على خبـر إن، وبالنصب لعطفهما على صلة أن. والفرق بينهما في المعنى: أن الرفع يفيد أن فيه ثلاث علل: خوف التكذيب، وضيق الصدر، وامتناع انطلاق اللسان، والنصب على أن خوفه متعلق بهـذه الثلاثة. فإن قلت: في النصب تعليق الخوف بالأمور الثلاثة، وفـي جملتهـا نفـي انطـلاق اللسان"[3].

وعلى هذا يكون للعدول أثر بالغ في المقولات الحوارية لما له من فوائد منهـا: سـرعة تجسيد الموقف، ولفت انتباه السامع إلى النتيجة، وزيادة في جماليات النص عندما يخرج عـن مقتضى الظاهر ويخالف نمط النص، وتفنن بعدة أساليب لغوية، والوصول إلى معان جديـدة تفهم من سياق النص ومقتضى الحال.

---

1 - التحرير والتنوير، ج١٩ ، ص٢٥٢
2 - العدول النحوي والسياقي، ص ٢٥٦-٢٩٨
3 - تفسير الكشاف، ج٣، ص ٣٠٨

رابعا: التكرار في المقولات الحوارية في القرآن الكريم:

في سور القرآن الكريم تكررت بعض الآيات في مواطن عدة وكان هذا ضمن تكرار حرفي لا زيادة فيه أو نقصان، وفي البعض كان من خلال زيادة حرف أو كلمة أو جملة أو على النقيض منه يكون بالحذف، وعلى هذا يكون التكرار على نوعين من حيث ذكر العام ثم الخاص حيث كان تكرار القصة القرآنية، قال القرطبي: " ذكر ا أقاصيص الأنبياء في القرآن وكررها بمعنى واحد، في وجوه مختلفة، وبألفاظ متباينة، على درجات البلاغة والبيان، وذكر قصة يوسف -عليه السلام- ولم يكررها فلم يقدر مخالف على معارضة المكرر، ولا على معارضة غير المكرر، والإعجاز واضح لمن تأمل"[1]، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (١١١)، وقصة سليمان مع الهدهد لم تتكرر بل ذكرت مرة واحدة في سورة النمل، و**التكرار اللفظي:** في اصطلاح علماء البلاغة: إعادة الكلمة بلفظها ومعناها في القول مرتين فصاعداً لنكته. وفي تعبير اللسانيات النّصية: هو إعادة العنصر المعجمي نفسه. ويجمع البلاغيون والأدباء والنقاد وعلماء التفسير على أهمية الدور الوظيفي لأسلوب التّكرار[2]، ومن مظاهر التكرار ما يأتي:

أولا : تكرار القصة:

إن القصة القرآنية قد يكون فيها أكثر من موطن عبرة وأكثر من جانب استشهاد. فأنت ترى أن القصة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تتكرر ولكن يعرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق وبحسب ما يراه من مواطن العبرة والاستشهاد، وأتى القرآن بالقصة على ضروب متعددة، فمرة موجزة ومرة مطولة ومرة يقدم الموجز على المفصل في التنزيل، ومرة يقدم المفصل، وكل ذلك يتناسب مع جو

---

[1] - الصابونى، محمد على. صفوة التفاسير، تفسير القرآن الكريم، جامع بين المأثور والمعقول مستمد من أوثق كتب التفاسير(الطبري، الكشاف، القرطبي، الألوسي، أبن كثير، البحر المحيط) دار الفلك للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية، المجلد الثاني، ص ٤٠

[2] - انظر: لغة القرآن، ص٢٥٠

السورة والسياق، ويعد هذا وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، ومناسبة القصة لسبب النـزول الذي قيلت فيه[1]، وعليه تعددت تفسيرات العلماء والباحثين حول تفسير ظاهرة التكـرار فـي القص القرآني يمكن إيجازها[2]على النحو الآتي:

١- التكرار بسبب العبرة والتذكير في مواقف مختلفة وأبعاد لغوية ومعنوية وبلاغية.
٢- التكرار بسبب منظور نفسي يرتبط بسلوك الإنسان.
٣- التكرار لأهداف تعليمية يقصد بها مدى إدراك الناس لما تعلموه.
٤- التكرار من أجل بيان جوانب لا يمكن أداؤها على وجه واحد من وجوه التعبير.
٥- في التكرار تأكيد من عجز الثقلين عن الإتيان بمثله أو سورة من سوره أو حتى آيـة من آياته.
٦- في تكرار القصة تسلية لقلب النبي محمد –صلى الله عليه وسلم- قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ ﴾ سورة هود، آية: (١٢٠).
٧- في القصة المكررة زيادة شيء لم يذكر في التي قبلها.

وترى الدراسة إضافة لما ذكر سابقا أن التكرار في ظاهر القصة أو في بعض أجـزاء القصة أو بعض ألفاظها يتناسب مع الشخصية الإنسانية التي خلقهـا ا تعـالى وعـرف احتياجاتها، فجاء التكرار يدق على هذه الجزئية في النفس البشرية، ويكون هـذا منطلقـا للدعاة فلا يمل الداعي ولا يسأم المتلقي، وربما في قصة يونس- عليه السلام- استخلاص الفكرة السابقة إذ عاتبه ا تعالى بقوله: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ سورة الأنبيـاء، آيـة: (٨٧)، ومع تكرار القصص في القرآن الكريم فقد جاءت قصة يوسف –عليه السلام- في سـورة

[1] - انظر: لغة القرآن ، ص٤٨-٤٩
[2] - انظر: الشخصية في القصص القرآني. دراسة نصية نقية تحليلية لشخوص مختارة. خالد سـليمان عيـد الدولات، رسالة ماجستير، كلية الآداب، ١٩٩٦م، و بني دومي، خالد قاسم حسين. التكرار اللفظي فـي لغـة الحوار القرآني دراسة لغوية أسلوبية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك، ص٣٢- ٣٨

واحدة و ذات وحدة موضوعية متكاملة قصة كاملة ومرة واحدة عبر عنها القرآن بعـدة ألفـــاظ: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٣)، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ سورة يوسف، آيـة: (٧)، وقوله عز وجلّ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓاْ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة يوسف، آيـة: (١٠٢)، ويقول رب العـزة: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (١١١)، **تبدأ القصة** من أول أحداثها بوصف طفولـة يوسف -عليه السلام- والحلم الذي قصه على أبيه، ثم تصف علاقة يوسف-عليه السلام- بإخوته، ثم تتبع الأحداث منهجا زمنيا متسلسلا في وحدة قصصية معقدة الجوانب متعـددة الأطراف، ترى فيها اختلاف الأماكن وتعددها ، فمرة في حضن الأب، ومرة في اجتمـاع الإخوة المغلق ، ومرة في المفاوضات بين الأبناء ويعقوب - عليه السلام- فـي مرافقـة يوسف لهم، ومرة في غيابة الجب، ومن ثم في السوق، ثم العزيز وقصره وتعدد المشاهد على اختلاف الأماكن، لتقذف به إلى السجن، ومن ثم إلى بلاط الملك .. الخ، فهذه قـصة الحياة المعقدة تنبض بالحركة والحياة، عرض الحوار المكان والزمـان، وكـان تحليـل الشخصيات يعتمد على المقولات الحوارية في كثير من الأحداث، وقد تخللها بعض الجمل السردية التي تثري الموقف وتجسده في ذهن المتلقي مثل: ﴿ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ ﴾ سورة يوسف، آية :(٢٣)، وفـي قولـه تعـالى: ﴿ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٨٤)، دون الاعتماد على السرد المباشر أو الوصف الدقيق الذي قد يحد من تطور الأحـداث و سرعتها، وقد قفز بنا حوار الشخصيات من مكان إلى آخر موضحا لها ومفسرا سـلوكها الإنساني، وهو يتناسب مع الأحداث وتسارعها ضمن ترتيب زمني دقيق يعجز عن تقليده البشر، وإن كان من واقع حال البشر ومتصلا بحياتهم ولا ينفصل عنهم.

ثانيا : التكرار في الجمل الحوارية :

تعددت صور التكرار في الجمل الحوارية في القرآن الكـريم موجهـة لتحقيـق غايـات وأغراض في نفس الملقي أو المتلقي، وتأكيدها بتكرير ذكرها في صور متنوعة لترسيخها في الأذهان، وكان هذا التكرار بعدة طرق منها:

أ. تكرار الجملة دون أي اختلاف: ومن أمثلة تكرار الجمل الحوارية المتشابهة تماما:

قوله تعالى في سورة الصافات: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٠) ﴾ سورة الصافات، الآيتـان: (٧٩-٨٠)، وقولـه تعـالى: ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٠٥) ﴾ سورة الصافات، الآيتـان : (١٠٤-١٠٥)، وقوله تعالى: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ (١٢٠) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (١٢١) ﴾ سورة الصافات، الآيتـان: (١٢٠-١٢١)، فقد تكررت جملة: ﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وكان التكرار في نفس الجملة وإنما الاختلاف في السياق.

وكان من نتيجة التكرار الحرفي للجملة الحوارية أن أدى أبعادا منها: التأكيد على ثـواب وجزاء تلك الشخصيات من: نوح وإبراهيم وموسى وهارون-عليهم السلام-، و" تأكيد معنـى الجملة تأكيداً لفظياً لأنه تقرير للعناية بجزائه على إحسانه"[1]، والتوسع في أن تضرب هذه الآية مثلا لكل من اتصف بصفات الشخصيات السابقة التي أطلقها رب العزة علـيهم، يقـول ابـن عاشور:" والمعنى عليه: أن هذه الجملة تقال لكل متّق منهم، أو لكل جماعة منهم مجتمعة على نعيم الجنة، وليعلموا أيضاً أن أمثالهم في الجنات الأخرى لهم من الجزاء مثل ما هم ينعمـون به"[2].

---

1 - التحرير والتنوير. ج١٢، ص ٢٢٥

2 - المرجع السابق. ج١٦، ص ٩٢

ومن أمثلة التكرار اللفظي دون أي اختلاف قوله تعالى:﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ص: ٨٣، وتتكرر الآية:﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة الحجر، آية: (٤٠)، ومن فوائد هذا التكرار اللفظي هو: حماية الله تعالى لعباده وخاصة المخلصين، تؤكد هذا الآيات التالية من سورة الحجر:﴿ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة الحجر، الآيات: (٤١-٤٤)، فأنت تجد أن الآيات تأخذ طريقين: الأول: طريق الله وفيه حمايته سبحانه لعباده المخلصين، والطريق الثاني: طريق الشيطان، ومصير من اتبعه، وفي هذا تثبيت المؤمن، وفيه إعجاز للشيطان من أن يصل إليهم، فليس للشيطان سلطان على عباد الله تعالى، وهذا يؤكد ضعفه وانكساره.

ومن صور التكرار اللفظي دون أن يكون أي تغيير في المقولتين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ سورة التحريم، آية: (٩)، قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة التوبة، آية: (٧٣) ، في أسلوب النداء الموجه إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- كيف يتعامل مع الكفار والمنافقين حيث ساوى بينهم باستخدام حرف العطف الذي يضعهم في نفس الدائرة، ومن ثم تأكيد النتيجة التي سيصلون إليها دون تدرج في العرض أو أي فرق في ترتيب نظم الآيتين، وهذا يكشف للرسول -صلى الله عليه وسلم- باطن المنافقين وإن تظاهروا بالإيمان فمثلهم كالكافرين، وفيه تسلية لقلب محمد -صلى الله عليه وسلم-.

ب. تكرار الجملة الحوارية مع اختلاف:

يمكن أن يكون الاختلاف في: حرف أو كلمة أو في ترتيب الجمل الحوارية، ومن الأمثلة على تكرار الجمل الحوارية مع اختلاف بسيط في ترتيب الجملة، في سورة هود وصف الأحداث مع أمر الله تعالى لنوح -عليه السلام- بقوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة هود، آية: (٤٠)، وفي سورة المؤمنين كان الأمر من الله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسۡلُكۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة المؤمنون، آية: (٢٧)، تبدأ الآية الأولى بـ : (حَتَّىٰٓ إِذَا) والآية الثانية تبدأ بـ: (فَإِذَا) ، وفعل الأمر في الآية الأولى: (قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ) وفي الآية الثانية جاء فعل الأمر (فَٱسۡلُكۡ) دون أن يسبق بفعل القول، وتختم الآية الأولى بذكر من آمن معه بقول تعالى: ﴿وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة هود، آية: (٤٠)، بينما تختم الآية الثانية بذكر الكافرين: ﴿مِنۡهُمۡۖ وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة المؤمنون، آية: (٢٧).

ومن أمثلة التكرار اللفظي مع زيادة كلمة واحدة قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ سورة الأعراف، آية: (٢٠٠)، وتتكرر الآية بزيادة (هو) في قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة فصلت، آية: (٣٦)، يقول ابن عاشور:" وفائدة هذه الاستعاذة تجديد داعية العصمة المركوزة في نفس النبي -صلى الله عليه وسلم-، لأن الاستعاذة بالله من الشيطان استمداد للعصمة، وصقل لزكاء النفس مما قد يقترب منها من الكدرات، وهذا سر من الاتصال بين النبي -صلى الله عليه وسلم-

وربه، وقد أشار إليه قول النبي – صلى الله عليه وسلم- " إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"[1]، فبذلك تسلم نفسه من أن يغشاها شيء من الكدرات، ويلحق به في ذلك صالح المؤمنين"[2].وفي الحديث القدسي عند الترمذي "ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه"[3].

وقد أدى هذا التكرار أبعادا منها: الكشف عن المؤمنين في الآية الأولى، والكشف عن نتيجة الكافرين في الآية الثانية، ومع وجود مثل هذا الاختلاف البسيط فإنه يرفع السآمة والملل، ويضفي معلومة جديدة عند كل تكرار، وتكون ضمن السياق الذي ذكرت فيه أبلغ.

ثالثا : تكرار جزئية معينة :

في أثناء الجمل الحوارية نلحظ تكرارا جزئيا من كلمة أو فعل أو نمط لغوي و تفصيل ذلك على النحو الآتي:

أ. تكرار الألفاظ مثل تكرار قميص يوسف-عليه السلام- حيث تكرر ذكره في سورة يوسف أربع مرات على النحو الآتي:

١. قميص يوسف -عليه السلام- في أول الأحداث **<u>شاهدٌ</u>** عل كذب إخوته ويظهر هذا في جواب يعقوب -عليه السلام-: ﴿ <u>وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ</u> ١٨ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٨).

---

[1] - القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم. صحيح مسلم، بتحقيق: وتصح محمد فؤاد عبد الباقي، صدرت عن دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، سنة ١٣٧٤هـ، ج ٤، ص ٢٠٧٥، و(ليغان) قال أهل اللغة: الغين والغيم بمعنى واحد، والمراد هنا ما يتغشى القلب، قال القاضي: قيل: المراد الفترات والغفلات عن الذكر الذي شأنه الدوام عليه، فإذا افتر عنه أو غفل عُدّ ذلك ذنبا واستغفر منه.

[2] - التحرير والتنوير. ج ٢٥، ص ٦١

[3] - البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله. الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧م، ج ١٦، ص ٣٣٩

٢. قميص يوسف -عليه السلام- دليل على **كذب امرأة العزيز**، وصدق يوسف -عليه السلام-، **وبراءته**، قال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٢٧).

٣. قميص يوسف -عليه السلام- **شاهد على صدق يعقوب**-عليه السلام- عندما قالوا: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٨٥).

٤. قميص يوسف -عليه السلام- **براء و شفاء ليعقوب**- عليه السلام- بعد أن فقد بصره، قال تعالى: ﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٩٣).

لقد كان لهذا القميص حضور تمثل في سياق الأحداث: يستخدمه الإخوة دلالة موت يوسف -عليه السلام-، ويكون القميص براءة له ودليل كذب المرأة، ثم يجد الأب النبي يعقوب -عليه السلام- ريح يوسف في هذا القميص، ثم تكون نهاية القميص المعجزة شفاء الأب، وقد كان التوسع في مدلولات القميص أن أدى أبعادا منها:

الأثر البالغ في إثارة تفكير المتلقي وتشويقه، والتوسع في الدلالة اللغوية ضمن السياق، وكان له أثر نفسي بالغ في جميع الأحوال بداية عند مكر الإخوة ووضع الدم الكاذب، انتقالا إلى افتراء امرأة العزيز، وصولا إلى اكتشاف الأب رائحة ابنه، وأخيرا عندما ارتد الأب بصيرا بعدما ألقي عليه القميص.

ب. تكرار الفعل في جملة واحدة قال تعالى: ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ سورة الشعراء، آية: (١٩)، إذ أن الفعل (فَعَلْتَ) تكرر ثلاث مرات في نفس الآية حيث أوجز القصة القرآنية من خلال مقولة حوارية تعود بالأحداث إلى الوراء كما في قصة موسى - عليه السلام- عندما قال له فرعون: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ

فَعَلْتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾﴾ سورة الشعراء، الآيـات: (١٨-٢١)، إذ يذكر فرعون موسى بفترة حياته السابقة ليرجع إلى الوراء سنين كثيرة: مذ كان وليدا إلى أن فر وهرب، وذلك من خلال قوله السابق، ويكمل موسى -عليه السلام- الأحداث عندما فر من فرعون وجنـوده خوفـا مـن بطشهم، ويقفز إلى تلقيه الرسالة من ربه، فقد مثّلَ تكرار الفعل في الآيات بعدا هاما ظهر في اختزال كامل لحياة موسى -عليه السلام- وهو رضيع ثم شاب ثم النبوة، وصولا إلى فرعون.

ج. **التكرار في النمط اللغوي** مثل تكرار أسلوب النداء:

في المقولات الحوارية أسلوب النداء الذي أخذ أكثر من صيغة منها: (يَٰٓأَبَتِ) فـي قولـه تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٤)، ومن صيغه (**يا بني**) من مثل قوله تعالى على لسان يعقوب -عليه الـسلام-: ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ سورة يوسف، آيـة: (٥)، ومن صيغ النداء (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ) من مثل قوله تعالى على لسان سليمان -عليـه الـسلام-: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ سورة النمل، آيـة: (١٦)، ومن صيغ النداء أيضا: (أَيُّهَا) من مثل قوله تعـالى: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٤٦)، و(يَٰٓأَيَّتُهَا) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ سورة الفجر، آية: (٢٧)، وأسلوب النداء المستخدم في الندبة نحو قوله تعالى على لسان يعقوب -عليه الـسلام-: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٨٤)، و"لا يستخدم في الندبة إلا أحد حرفين من أحرف النداء: أحدهما: أصيل، وهـو: "**وا**"؛ لأنـه مختص بالندبة، لا يدخل على غير المنادى المندوب، و الآخر غير أصيل؛ وهو: "**يا**" لأنه غير

مختص بالندبة، وإنما يدخل على المنادى المندوب وعلى سواه. واستعمال "يا" قليل هنا، وهـو -على قلته- جائز، بشرط أمن اللبس بوجود القرينة الدالة على أن الأسلوب للندبة، لا لنـوع آخر من أساليب النداء."[1] و من أمثلته أيضا قوله تعالى على لسان الكافر: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴾ سورة الفجر، آية: (٢٤)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴾ سورة النبأ، آية: (٤٠)، وفـي قولـه تعـالى: ﴿ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴾ سورة الحاقة، آية: (٢٧).

ومن أمثلة النداء مع الحذف في قوله تعالى: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ سورة يوسف، آية: (٤٦)، تقول فوز نزال:" تكشف القراءة الارتدادية لحوار سابق دار بين المنادي والمنادى في السجن[2] ..لأنه نسي طلب يوسف إليه أن يذكره عند الملك.. لذا غابت أداة النداء غيبها القرب المادي و المعنوي"[3]، وتقدير الكلام أن يقول: يا يوسف، أيها الصديق ولكنه حذف أداة النداء فكان لهذا الحذف عدة أدوار وفوائد منها: التشويق، وتسارع في الأحداث، وإظهار اللهفة من قبل المنادي لأجل إثارة يوسف -عليه السلام- والسامع إلى السؤال الذي جاء به وفي قوله: (أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ) يباغت يوسف بهذا الاستهلال الذي اختاره لخطابه، وقد ذكر فيه اسمه ولقبه؛ لينبه يوسف -عليه السلام- إلى صحبته له سابقا، ومعرفته به وبحاله، وليلفت ذاكرته إلى الوراء؛ إلى تأويله لرؤياه وصدقه"[4]. وعليه نجد أن تكرار النداء كان له عدة أبعاد نذكر منها: التقرب والتحبب إلى المنادى وما له من أثر نفسي في المتلقي من المتكلم وإزالة الحواجز بينهما، وفي النداء إثارة الانتباه والعواطف بالتخصيص للمنادى فهو من أساليب التنبيه، وفي النداء طلب الإجابة، وكذلك في النداء استحضار المنادى وإن كان لا يسمع النداء

---

[1] - حسن، عباس. النحو الوافي، ط١٥، دار المعارف، ج٤، ص٩٠، و انظـر: التحريـر والتنـوير. ج ٨، ص١٠٠
[2] - انظر: هذا الحوار في سورة يوسف الآيات من (٣٦- ٤٢)
[3] - لغة الحوار في القرآن الكريم، ص ١٩٢
[4] - المرجع السابق، ص ١٩٢

الفصل الثالث: الشخصية الإسلامية في القرآن الكريم

المبحث الأول: الشخصية الفنية والشخصية القرآنية.............. ٤٧

المبحث الثاني: دور الحوار في رسم أبعاد الشخصية القرآنية ٥٣

الشخصية الإسلامية الأولى: نوح – عليه السلام – ٥٣

الشخصية الإسلامية الثانية: إبراهيم – عليه السلام – ٦٠

الشخصية الإسلامية الثالثة: لوط– عليه السلام – ٧٤

الشخصية الإسلامية الرابعة: إسماعيل– عليه السلام – ٨٢

الشخصية الإسلامية الخامسة: يعقوب– عليه السلام – ٨٦

الشخصية الإسلامية السادسة: يوسف– عليه السلام – ٩٥

الشخصية الإسلامية السابعة: موسى – عليه السلام – ١١١

الشخصية الإسلامية الثامنة: سليمان – عليه السلام – ١١٨

الشخصية الإسلامية التاسعة: عيسى – عليه السلام – ١٢٢

الشخصية الإسلامية العاشرة: محمد - صلى ا عليه وسلم- ١٢٨

المبحث الأول : الشخصية الفنية والشخصية القرآنية

قبل الحديث عن الشخصية القرآنية لا بد من توضيح معنى الشخصية، والشخصية الفنية، والشخصية القرآنية، ومن ثم تحليل نماذج مختلفة من آيات القرآن الكريم التي أظهرت سمات الشخصية الإسلامية، ودور الحوار وأثره في رسم أبعادها المختلفة، وقد اقتصر البحث على النماذج الآتية[١]:

١- نوح – عليه السلام –

٢- إبراهيم – عليه السلام –

٣- لوط – عليه السلام –

٤- إسماعيل – عليه السلام –

٥- يعقوب – عليه السلام –

٦- يوسف – عليه السلام –

٧- موسى – عليه السلام –

٨- سليمان – عليه السلام –

٩- عيسى – عليه السلام –

١٠- محمد –صلى ا عليه وسلم-

[1] - اعتمدت الدراسة الترتيب الزمني في ترتيب النماذج المختارة من الأنبياء، وضمن أساس أن هذه الشخصيات أعلنت إسلامها على لسانها، وهذا ما تم عرضه في المقدمة ص (١-٣) من هذا البحث.

الشخصية الفنية والشخصية القرآنية

تُعرف الشخصية على أنها: " مجمل السمات أو الملامح التي تشكل طبيعة شخص أو كائن حي، وهي تشير إلى الصفات الخلقية والمعايير والمبادئ الأخلاقية، ولها في الأدب معان أخرى، وعلى الأخص ما يتعلق بشخص تمثله قصة أو رواية أو مسرحية"[1].

أما الشخصية الفنية: فتعد عنصرا هاما من عناصر العمل الأدبي سواء أكان شعرا أم قصة أم مسرحية، إلا أنها تظهر بصورة واضحة في القصة والمسرحية. وتتعدد أشكال الشخصية الإنسانية من" شخصيات أنموذجية، تعكس مجموعة من صفات الشخصية الإنسانية العامة"[2]، وقد يجد القارئ أن هناك تشابها كبيرا بين صفاته وصفات شخصية ما في القصة" وربما تعاطف مع الشخصية ومال إليها "[3]، وقد تكون الشخصية الفنية مثالية في كل صفاتها، أو تكون الشخصية الأدبية سيئة، الهدف من عرضها هو تعريف القارئ بها حتى يكون على حذر منها، ويعرف كيف يكشفها، ويتعامل معها، ولا يقع فريسة سهلة بين يديها، وينفر من التشبه بها.

ومن المعهود في فن القصة والمسرحية أن المؤلف هو الفنان المبدع في رسم شخصيات قصصه بحيث تكون ذا أثر واضح على المتلقي، ويتفنن في رسم الشخصيات، مستعينا بالوصف والسرد والحوار والبيئة، وكلما كان فيها جدة وإبداع نجح وأثر فيمن حوله. أما في هذا البحث الذي يعتمد الحوار ركيزة أولى في رسم الشخصية القرآنية، وهذا لأن شخصيات القرآن الكريم هي شخصيات حقيقية، وأن القرآن الكريم هو كلام ا تعالى، وأن الحوار له أثره في الكشف عن خفايا هذه الشخصيات بحيث يظهر التحليل دقائق صفات تلك الشخصيات دون تحريف أو زيف أو تكلف أو تحميل ألسنتها ما لا تحتمله، والمرجع في ذلك هو نص القرآن الكريم، وما تواتر من قراءات قرآنية صحيحة عن الرسول الكريم–صلى الله عليه وسلم-.

[1] - فتحي، إبراهيم. معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، ط١، ١٩٨٦م، ص٢١٠.

[2] - المرجع السابق، ص ٥٣

[3] - السابق، ص ٥٣

وكاتب القصة يترك لخياله دورا في رسم الشخصيات ، و" لهـذا فـإن حـدود رسـم الشخصية القصصية، لا تقتصر على النطاق الذي تجول فيه الملاحظة المباشرة"[1]، وعليه قـد تكون الشخصية خيالية بكل ما فيها، لذلك نجد أن الكاتب يحمل ألسنة الشخصية ما شـاء مـن جمل حوارية دون ضابط أو رقيب عليه، وهذا بطبيعته يختلف عن الشخصية الحقيقيـة فـي الحياة وذلك لدور الكاتب في رسم هذه الشخصيات وهو واحد من ثلاثة[2]:

١- التقديس والإعجاب، وهذا عند أكثر الكتاب (الرومانسية[3]) مثـل: (الـسير تومـاس مالوري[4]).

٢- احتقار وعداوة، فتظهر القسوة والعنف مثل: (فلوبير[5]) عندما عرض شخصية (مدام بوفاري)، ونجيب محفوظ[6].

٣ - موقف وسط محايد يهم الكاتب دراسة شخصياته دراسة مجردة، فيكشف فـضائلها، ويظهر عيوبها.

ولكن في شخصيات القرآن الكريم - الذي هو كلام ا تعالى و المثل الأعلى- نلحظ أن الحوار وما نطقت به هذه الشخصيات كان كفيلا برسم أدق تفاصيل تلك الشخصية من خير بداخلها أو شر، والأمثلة على ذلك كثيرة تظهر في تحليل الشخصيات في هذه الدراسة.

ويعمد الكاتب في رسم شخصياته الفنية إلى أسلوبين هما:

١- السرد المباشر: إذ يعتمد على المؤلف فهو "يرسم شخصياته مـن الخـارج، يـشرح عواطفها وأفكارها وأحاسيسها، ويعقب على بعض تصرفاتها، ويفسر الرأي الآخر، وكثيرا ما يعطينا رأيه"[1].

---

1 - فن اقصة، ص ٩٢

2 - انظر: المرجع السابق، ص٩٤-٩٨

3 - الرومانسية: حركة فنية فلسفية نشأت في أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر ضد الكلاسيكية المحدثـة، تركز على العواطف والتعبير الحر والخيال ، تعلي من شأن الفرد.

4 - كاتب إنجليزي، أهم عمل رومانسي له هو: (موت آرثر).

5 - غوستاف فلوبير١٨٢١-١٨٨٠م، روائي فرنسي، ولد في مدينـة روان، والـده طبيـب تـأرجح بـين الرومانطيقية والواقعية، يعد من أسياد القصة القصيرة، أشهر روائعه مدام بوفاري عام ١٩٨٨م.

6 - كاتب وأديب مصري، ولد ١١ديسمبر عام١٩١١م، حصل على لسانس الفلسفةعام١٩٣٤م، بـدأ بكتابـة القصة القصيرة منذ عام١٩٣٦م، حصل على عدة جوائز منها جائزة الدولة التقديرية، وجـائزة نوبـل عـام ١٩٨٨م

٢- الحوار بمختلف أشكاله: الذي" يتيح للشخصية أن تعبر عن نفسها، وتكشف عن جوهرها، بأحاديثها وتصرفاتها الخاصة، وقد يعمد إلى توضيح بعض صفاتها، عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها"[٢]. وهذا الحوار يمكن أن يكون حوارا طبيعيا قريبا إلى الحقيقة والواقع، أو أن يكون حوارا مفتعلا، والكاتب يمتلك القدرة على إعادة النظر في الجمل الحوارية التي تدور على ألسنة شخصياته، ولغة هذه الشخصيات تختلف في أن تكون لغة عامية، أو لغة فصيحة، أو مبتذلة هشة سوقية، على النقيض تماما من لغة شخصيات القرآن الكريم التي لا تختلف بقوتها، وجزالة ألفاظها، وإعجازها مهما اختلفت تلك الشخصية، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما جاء على لسان الهدهد وهو يحاور سليمان-عليه السلام- مستنكرا السجود لغير ا تعالى: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾﴾ سورة النمل، الآيتان: (٢٥-٢٦)، فهذا الطائر ركز على الخبء" والخبء: مصدر خبأ الشيء إذا أخفاه. أطلق هنا على اسم المفعول، أي: المخبوء على طريقة المبالغة في الخفاء كما هو شأن الوصف بالمصدر، ومناسبة وقوع الصفة بالموصول في قوله: (الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ) لحالة خبر الهدهد ظاهرة لأن فيها اطلاعا على أمر خفي، وإخراج الخبء: إبرازه للناس، أي إعطاؤه، أي:إعطاء ما هو غير معلوم لهم من المطر وإخراج النبات وإعطاء الأرزاق، وهذا مؤذن بصفة القدرة،وقوله: (وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ) مؤذن بعموم صفة العلم"[٣]، وكان تركيز الطائر على ما يثير انتباهه من حيث أنه طير، فهو يعبر عن فطرته في البحث عن الخبء الذي هو الماء أو الحب، وهو يعلم علم اليقين أن ا وحده هو الرزاق، وأنه لا إله إلا ا .

---

[1] - فن القصة، ص٩٨

[2] - المرجع السابق، ص٩٨

[3] - التحرير والتنوير، ج ١٩، ص٢٥١، وفي الجزء ٣٠، ص ٢ أضاف ابن عاشور: " قال بعض أهل العلم:(الْخَبْء فِي السماواتِ): المطر، والخبء في الأرض: النبات، والمعادن، والكنوز، وهذا المعنى ملائم لقوله: (يخْرِج الْخَبْء)، وقال بعض أهل العلم: الْخَبْء: السر والغيب"، وانظر: تفسير البيضاوى، ج٤، ص ٢٦٥، حيث أضاف في تفسير الخبء:" ما خفي في غيره وإخراجه إظهاره وهو إشراق الكواكب وإنزال الأمطار وإنبات النبات بل الإنشاء فإنه إخراج ما في الشيء بالقوة إلى الفعل والإبداع، فإنه إخراج ما في الإمكان والعدم إلى الوجوب والوجود ومعلوم انه يختص بالواجب لذاته".

من المهم أن نشير إلى الفرق بين الشخصية الإنسانية والأنموذج البشري" فالشخصية الإنسانية لها مشخصاتها الدقيقة، وخصائصها المميزة، وقسماتها الفارقة،وبهذا تختلف عن سواها من الشخصيات، أما الأنموذج البشري، فهو تجسيم مباشر لسجية من السجايا، أو لنقيصة من النقائص، أو لطبقة أو لمجموعة خاصة من الناس، وهو يحوي جميع صفاتها وخصائصها الأساسية "[1].

وفي القرآن الكريم نجد أن الشخصية الإنسانية أصبحت أنموذجا بشريا سواء بأنها اتصفت بصفات أخلاقية عالية، ومثل عليا مِثل شخصيات الأنبياء والرسل، فهي بذلك دلالة على الخير وصفاته، أم أنها كانت كتلة من الشر والعدوانية من مِثل: شخصية إبليس وفرعون، وهي بذلك دلالة على الشر وصفاته.

ومن هنا نلحظ في القرآن الكريم ظهورا واضحا وبارزا **للشخصية الإسلامية** التي تقوم على" أن العقيدة الإسلامية هي القاعدة التي يجري عليها تكوين الشخصية الإسلامية وبنائها ببعديها أو عنصريها: العقلي والنفسي، إذ جعل الإسلام العقيدة الإسلامية عقيدة عقلية، فصلحت لأن تكون قاعدة فكرية تقاس عليها الأفكار، فهي فكرة كلية شاملة للإنسان والحياة والكون، ونظم بها الإسلام غرائز الإنسان وحاجاته العضوية تنظيما صادقا متناسقا متوازنا، يحول دون الكبت أو الإطلاق، ويؤدي إلى استقرار الشخصية وطمأنينتها"[2].

ولا بد من الإشارة إلى أن **الشخصية الإسلامية هي بشر**" فلا ينبغي أن نتصور الشخصية الإسلامية ملائكية في ديمومة العبادة، وبلا أخطاء، فقد تقع ثغرات في سلوكها بتقصير أو غفلة أو خطأ"[3]، ومن هنا يأتي دور الشخصية القرآنية الأنموذج بحيث يسهل على المسلم أن يقتدي بتلك النماذج إن كانت على صواب أو أن يستفيد منها إن وقعت في خطأ معين، وهذا على أساس المحاكاة والتقليد[4]، فيكون إتباع الصواب أو تجنب الوقوع بثغرات وقعت فها شخصيات

---

[1] - فن القصة، ص ١٠٥.

[1] - المرجع السابق، ص ١٠٥

[2] - عليان، مصطفى. بناء الشخصية في القصة القرآنية، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص ١١

[3] - المرجع السابق، ص ١٤

[4] - وقد تحدث فلاسفة اليونان كثيرا عن المحاكاة والتي كانت الهدف من مسرحياتهم، وللاستفادة أكثر انظر: ماضي، شكري عزيز. في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط ١. ٢٠٠٥، ص ٢٩-٣٢، و عوض، لويس. نصوص النقد الأدبي اليونان، دار المعارف، مصر، القاهرة ،١٩٦٥م، ص ٤٨-٥٣، و هلال، محمد غنيمي. والنقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، ص ٤٨-٦١

القرآن الكريم، وقد تناولت الدراسة الشخصيات القرآنية في الجانب التطبيقي من هذه الدراسة وذلك تجنبا للتكرار.

والنص القرآني عرض للشكل الخارجي للشخصية القرآنية بما يخدم الإبانة والكشف الدقيق لخفايا الشخصية، بحيث يرسمها الحوار رسما دقيقا بأسلوب معجز، فدلالة وسامة يوسف -عليه السلام- تظهر في قول النسوة من خلال الصوت الجمعي: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ سورة يوسف، لآية: (٣١)، وقول فرعون: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾ سورة الزخرف، آية: (٥٢)، وفرعون بهذا القول يثير الانتباه" مشيرا إلى ما كان في لسان موسى -عليه السلام- من الرتة (الحصر والعي والعجمة) التي تخل باللسان والفصاحة فلا يكاد يفهم"[1]. وفيما يأتي يتم عرض نماذج مختارة من الأنبياء –عليهم السلام– توضح الشخصية الإسلامية من واقع المقولات الحوارية التي تلفظت بها تلك الشخصيات.

[1] - بناء الشخصية في القصة القرآنية، ص ١٨

المبحث الثاني: دور الحوار في رسم أبعاد الشخصية القرآنية

لا شك أن للحوار دورا هاما في رسم الأبعاد الشخصية، وسنستدل على ذلـك بـالوقوف على بعض النماذج من الشخصيات الإسلامية في القرآن الكريم مع التركيـز علـى الجمـل الحوارية التي نطقت بها بما يخدم البحث، ثم ذكر الصفات الخاصة لكل شخصية -أوصـفات خاصة انفردت بها الشخصية- على النحو الآتي:

الشخصية الإسلامية الأو

نوح - عليه السلام -

أول رسول هو: نُوح -علَيهِ السلام[1]- ذكر في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم، وقوم نوح عبدوا الأصنام، قال تعـالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ سورة نوح، آية: (٢٣)؛ **وأول ما عبد من غير ا الأصنام**، وبعث نوح –عليه الـسلام– رسولا فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما[2]، يدعو إلى عبادة ا وحده، ولكن كـذبوه وآذوه وتفننوا في ذلك ، قال تعالى على لسان نوح وهو يدعو ربـه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾ سورة نوح، الآيات: (٥ - ٩)، وسلك نوح –عليه السلام– كل الوسائل والطرق **لأجل دعوته لعبادة ا تعا ، وقد ا ـذ**

---

[1] - المتقي الهندي، علي بن حسام الدين. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسـالة، بيـروت، لبنان، ١٩٨٩م، مجلد١١، ص ٧١٥، ونص الحديث :عن أَنَسٍ: أن النبِي –صلى ا عليه وسـلم- قَـالَ: "أَولُ نَبِي أُرسِلَ: نُوح علَيهِ السلام"، و الشربيني، محمد بن أحمد شمس الدين. تفسير الـسراج المنيـر، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٤، ص٢٨٢

[2] - قال ا تعـالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ سورة العنكبوت، آية (١٤)، و تفسير ابـن كثيـر، ج ٢، ص ٥٤٢-٥٤٤، وصـفوة التفاسـير، ج ٣، ص ٤٠٥-٤٠٨

نوح – عليه السلام- منهاجا واضحا دعوته لقومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُواْ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ سورة نوح، الآيات: (١٠ - ٢٠)، ثم لم تكن نتيجة الدعوة إلا: الصد والاستكبار والنفور ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾﴾ سورة القمر، آية: (٩)، والتحدي: ﴿قَالُواْ يَـٰنُوحُ قَدْ جَـٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾﴾ سورة هود، آية: (٣٢)، عند ذلك لجأ نوح إلى ربه طالبا منه النصر والتأييد قائلا: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ سورة نوح، الآيتان: (٢٦-٢٧)، فقد أوحى الله تعالى إلى نوح: ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ سورة هود، آية: (٣٦)، فجاء أمر الله أن يصنع الفلك[1] قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾﴾ سورة المؤمنون، آية: (٢٧) ، **الفلك المشحون** قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ سورة يس، آية: (٤١)، وتظهر شخصية الأب أنموذجا في الحوار الذي دار بين نوح -عليه السلام- وابنه حينما ناداه -عليه السلام- ليركب السفينة معه في وصف واقع الحال: ﴿وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ

[1] - انظر: التحرير والتنوير، ج ١٨، ص ٣٧-٤٠، و تفسير ابن كثير، ج ٣، ص ٢٩٩-٣٠٠، وصفوة التفاسير، ج٢، ص٢٣٣- ٢٣٤

ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سورة هود، آية: (٤٢)، وحسب الترتيب الزمني في القرآن الكريم فإن هذا الحوار هو أول حوار بين أب وابنه حوار نوح – عليه السلام– مع ابنه في سورة هود، فلم يذكر المصحف حوارا بين آدم و أبنائه، ولكن ظهر الحوار جليا في الآيات، وما يهم الدراسة هو الوصول إلى شخصية الأب (نوح) الخائف على ابنه والحريص عليه من الخطر، وهذا الخطر هو غضب ا و عذابه. انظر إلى قوله تعالى:

﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ سورة هود، الآية: (٤٣)، فرأى نوح –عليه السلام– هلاك ابنه: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة هود، الآيات: (٤٥- ٤٧)، ففضلاً عن تصوير عاطفة الأبوة وما فيها من حب وإشفاق وحنان في لحظة ضعف.. هناك أيضاً تصوير لحظة الارتفاع بعدها والتوبة والإنابة والاستغفار.

والحوار في الآيات السابقة سار في اتجاهين: الاتجاه الأول: حوار بين طرفين كل منهما يأخذ شخصية معينة مستقلة هما: شخصية الأب وأي أب إنه رسول كريم أوتي حظه من الرسالة ومن معرفة الأمور الغيبية من ا تعالى[1]، وهو يعرف حقيقة ثواب ا لمن آمن، وعقابه تعالى لمن كفر وعصى، ومع ذلك لم يؤمن معه إلا قليل ، حتى إن زوجته لم تؤمن به، وكذلك أحد أبنائه التي تُظهر شخصية الابن العنيد الذي لا يسمع كلام والده ولا حتى نصيحته، مع التأكيد على نبوة أبيه وعلمه بذلك، فهو صورة الابن العاق.

[1]- عن طريق الوحي ظهر هذا جليا في أكثر من آية من آيات القرآن الكريم على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة هود، الآيتان: (٣٦، ٣٧).

وقد كان الحوار بينهما عن مسافة بحيث يسمع كل منهما الآخر يظهر ذلـك بأسـلوب النداء من نوح –عليه السلام– والذي أظهره السرد في الآيات التي تبدأ به: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سـورة هود، آية: (٤٢)، ونلحظ أن جملة السرد تتخللها وقفة وصفية في غاية الدقة والروعة في إظهـار المكان وبيان تفاصيله في قوله تعالى: (وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ) وهذا يدلل على ثقـة الابـن مـن نفسه، حيث ظن أنه في مأمن من أن يقع عليه عذاب ا -عز و جلّ- وسخطه ، ثم تُظهـر المقولة الحوارية شخصية الأب الحنون في أسلوب النداء (يَا بُنَيَّ) في قول نوح -عليه السلام-: ﴿ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سورة هود ، آية : (٤٢)، فهو يضع أمام ابنه خيارين لا ثالث لهما:

<u>الخيار الأول</u>: أن يكون من المؤمنين إذا ركب السفينة مع نوح ، وذلك استجابة لأمر ا تعـالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ ۚ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة هود، آية: (٤٠)، <u>والخيار الثـاني</u>: أن يكـون مـن الكافرين وهذا ما أوضحه نوح –عليه السلام– عندما أمره بالركوب معهم في السفينة في قوله، فهو-عليه السلام- يضع ابنه أمام معادلة تظهر في المقولة الحوارية على لسان نوح (**اركـب معنا**) تكن من المؤمنين وإن لم تركب معنا (**تكن من الكافرين**)؛ فذكر السبب فـي الجملـة الأولى، والنتيجة في الجملة الثانية، وحذف نتيجة السبب الأول، وكذلك حـذف الـسبب مـن النتيجة الثانية على النحو الآتي:

السبب الأول: (ارْكَب مَّعَنَا)، والنتيجة الأولى: تنج وتكن من المؤمنين وهـذه النتيجـة محذوفة من المقولة الحوارية.

السبب الثاني: عدم الركوب في السفينة، وهذا السبب محذوف من مقولـة نـوح -عليـه السلام-، واكتفى بذكر النتيجة الثانية وهي: (وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ)، ومن هنا نجد أن هناك قولا

محذوفا أو أنه ترك لتقدير المتلقي، ولا يصعب تقديره، وهذا التركيز في الجمل الحوارية لـه فوائد كثيرة منها: إعطاء الحركة والحياة في الألفاظ، والتشويق لمعرفـة الأحـداث، وتطـور العقدة في القصة إلى غير ذلك من المزايا التي يعجز الإنسان عن حصرها.

ثم تبرز إجابة الابن واختياره: ﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ﴾ سورة هـود، آيـة: (٤٣)، تظهر استهانة الابن بقول والده وتحذيره، وكذلك تؤكد عناده وعصيانه أمر ا ، إذ يختار عدم الركوب في السفينة بقوله (**سآوي**) أي أنه اختار السبب الثاني ونتيجته أن يكـون مـن الكافرين.

ثم تكشف مقولة الأب عن عطفه على ابنه وشفقته عليه وخوفه من عمل ابنه وتؤكـد صـبره أن قـال لـه: ﴿ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ سورة هود، آيـة: (٤٣)، وهذه نتيجة حقيقية لا مجال لإنكارها، وهي سـبب لمـا اختاره الابن حسب المعادلة الآتية: السبب: (سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ) ويظن الابـن أن نتيجـة هـذا الاختيار هي أن الجبل يعصمه من الماء، وربما أن ما زاد من غرور هذا الابن أنه كان فـي معزل عن الماء فزين له أنه إذا آوى إلى الجبل سيكون في مكان آمن، ولكـن الأب الحكـيم يظهر له النتيجة الحقيقية بقوله (لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ)، ويقطع الحوار جملة وصفية تظهـر تسارع الأحداث مع إبراز النتيجة في قوله تعـالى: (وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ) والنتيجـة (فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ) ومن الملاحظ ظهور المكان جليا في الحوار وجملة السرد وجملتي الوصـف ، وأخذ هذا المكان صورا حقيقية من اركب معنا في السفينة (**الفلك**)، وكان في معـزل علـى اليابسة ولا يكون في معزل إلا إذا كان بعيدا ويؤكد ذلك أسلوب النداء (يَـٰبُنَىَّ)، ثم الجبل فـي قوله صراحة (سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ)، ثم ضمنا يظهر البحر أو الماء في قوله تعـالى: (فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ)، ولا عجب من ظهور المكان بشكل بارز في هذا المقطـع مـن القـصة، إذ إن

معجزة نوح -عليه السلام- هي صناعة الفلك (السفينة)، والتي لا تسير إلا في الماء، وعقوبة قوم نوح هي الغرق بالطوفان وكلاهما لا يظهر إلا بوجود المكان؛ فكان إعجازا دقيقـا فـي إبراز المكان دون إقحامه أو فرض المكان على حساب الأحداث، ومـن الجـدير بالـذكر أن شخصيات القصة السابقة اقتصرت على شخصيتي الأب والابن دون ظهور لشخصية ثالثـة، تظهر صبر الأب على ابنه وعقوق الابن وعناده في إتباع نصائح أبيـه، وتكـون النتيجـة النهائية: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ سورة نوح، آية: (٢٥).

من صفات نوح -عليه السلام-:

١- الصبر ويؤكد هذه طول فترة الدعوة التي استمر فيها ألف سنة إلا خمسين عاما.

٢- الاستغفار وهذا بدعوة نوح قومه: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾﴾ سورة نوح، آية (١٠).

٣- الدعاء: في الكرب عندما دعا ربه: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ سورة نوح، الآيتان: (٢٦-٢٧). والدعاء في الرخاء: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ سورة نوح، أية: (٢٨).

٤- التوكل على ا : ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓاْ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ سورة يونس ، أية : (٧١).

٥- الإخلاص في العمل -وأي إخلاص- في صناعة السفينة التي أمره ا تعالى بقوله : ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُواْ مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ سورة هود، الآيتان: (٣٧-٣٨).

٦- كثرة الشكر: قال تعـالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ سورة الإسراء، أية: (٣).

٧- عدم ادعاء العلم: وهذه الصفة ظهرت في دفاعه عمن آمن معه عندما قال: ﴿قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾﴾ سورة الشعراء، آية (١١٢)، وعندما دعا ربه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾ سورة هود، آية: (٤٧).

٨- التواضع وهذه الصفة ظهرت عندما تكبر قوم نوح – عليه السلام- عن اتباعه بسبب إيمان الضعفاء والفقراء به، قال تعالى: ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾﴾ سورة الشعراء، الآيات: (١١١ – ١١٥).

الشخصية الإسلامية الثانية

إبراهيم – عليه السلام -

تكرر اسم (إبراهيم) في القرآن الكريم [1]، ويصفه الله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٤ ﴾ سورة الصافات، آية: (٨٤)، و يأخذ حوار إبراهيم -عليه السلام- عدة أشكال منها: حواره -عليه السلام - مع الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٦٠ ﴾ سورة البقرة، آية: (٢٦٠) ، و حواره – عليه السلام– مع أبيه، و حواره –عليه السلام– مع قومه، وحواره –عليه السلام– مع الآلهة الذي أخذ صورة الحوار من جانب واحد، وحواره مع ابنه إسماعيل –عليهما السلام-، وحواره – عليه السلام– مع النمرود، وحواره – عليه السلام – مع الملائكة، وتكررت شخصية إبراهيم -عليه السلام- فكانت أكثر من دور: الابن والأب والزوج والداعية، وفي هذه الدراسة اخترت دور الابن لما فيه من عدة سمات تخص الأبناء في هذا الزمان، ففي قصص الأنبياء نجد منهم من كان يتيما مثل محمد-صلى الله عليه وسلم– ومن حرم الأب لعدة أسباب كأن لا يكون له وجود مثل عيسى –عليه السلام– أو أن يربى في حضن العدو مثل موسى- عليه السلام – ومنهم من حرم من حنان الأب بسبب مكر إخوته مثل يوسف – عليه السلام – إلا أننا نجد إبراهيم – عليه السلام– يتربى في حضن والده الذي يعكف على صناعة الأصنام، وهذا الابن يرى أن أباه يرتكب خطأ يحاول مع أبيه مستخدما أدبيات الحوار المفقودة لدى الكثير من الأبناء، ففي سورة الأنعام تعريف بالشخصيتين من خلال الحوار الآتي: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ

[1] - في السور الآتية : البقرة ، وآل عمران، والنساء، والأنعام، والتوبة، وهود، ويوسف، والنجم، والنحل، ومريم، الأنبياء، والحج، والشعراء، والعنكبوت، والصافات، وص، والشورى، والزخرف، والذاريات،والممتحنة، والأعلى، وسورة كاملة باسم إبراهيم .

أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (٧٤) ﴾سورة الأنعام،آيـة: (٧٤)، ويعود إبـراهيم –عليـه السلام– لتوجيه السؤال بطريقة أشمل يخاطب فيه أباه وقومه قـائلا: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَاذَا تَعۡبُدُونَ (٨٥) ؟ ﴾ سورة الصافات، آية: (٨٥)، ويكرر السؤال دون ملـل قـائلا: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ (٧٠) ؟ ﴾ سورة الشعراء، آيـة: (٧٠)، والفرق بين السؤالين هو أداتا السؤال ماذا وما، وفي هذا زيادة استنكار من إبراهيم –عليه السلام– من فعل أبيه وقومه، ثم نجد في سورة مريم التفكير العلمي المنطقي لدى الابن، وطريقته في إثارة أبيه للتفكير، وإعمال العقل من خـلال الحجـة الآتيـــة: ﴿ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا (٤٢) يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا (٤٣) يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا (٤٤) يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا (٤٥) ﴾ سورة مريم الآيات مـن (٤٢-٤٥) ، وفي هذه الآية يـصرح أنهـم أصـنام: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ (٧٤) ﴾ سورة الأنعام ، آية : (١٧)، ويعيد الكرة بأسلوب ثالـث فيقـول –عليـه السلام– : ﴿ إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ لَكُمۡ رِزۡقٗا فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ (١٧) ﴾ سورة العنكبوت، آية: (١٧)، ومـن ثم يتبع –عليه السلام– أسلوب التهديد قائلا: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ (٢٥) ﴾، ويأتي القرار من قبل إبراهيم –عليه السلام-: ﴿ قَالَ أَفَرَءَيۡتُم مَّا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ (٧٥) أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلۡأَقۡدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمۡ عَدُوّٞ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ (٧٧) ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ (٧٨) ﴾ سورة الشعراء، الآيات: (٧٥-٧٨)، ثم البراءة من الكفار قال تعـالى: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ

﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ سورة الممتحنة، آية: (٤)، وتتكرر براءة إبراهيم عليه السلام حينما قال: ﴿ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة الأنعام، آية: (٧٨)، وهنا يهدده (آزر) قائلا له: ﴿ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ ﴾ سورة مريم، آية: (٤٦)، ويأخذ إبراهيم – عليه السلام - أسلوبا عجيبا في إثارة قومه وذلك بالاستهزاء من الأصنام. انظر إلى هـذه الخطـة الذكية منه -عليه السلام- : ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ ﴾ سورة الصافات، آية: (٩٣)، يقول ابن عاشور:" انتقل إبراهيم -عليه السلام - من تغيير المنكر بالقول إلى [1]تغييره باليد معلنا عزمه على ذلك"[2] بقولـه:﴿ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ سورة الأنبياء، آيـة: (٥٧)، "مؤكدا عزمه بالقسم، فالواو عاطفة جملة القسم علـى جملة الخبر التي قبلها، والتاء تختص بقسم على أمر متعجب منه وتختص باسم الجلالة وكانت النتيجـة: ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ سـورة الأنبيـاء، آيـة: (٥٨) ،" والجذاذ بضم الجيم في قراءة الجمهور : اسم جمع جذاذة ، وهي فعالة من الجذ ، **وهو** القطع[3]" ﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ سورة الأنبياء، الآيات: (٥٩-٦٣)، " قيل: كانت الأصنام سبعين صنما مصطفة ومعها صنم عظيم وكان هو مقابل باب بيت الأصنام، وبعد أن كسرها جعـل

---

[1] - انظر: التحرير والتنوير، ج١٧ ص ٧١
[2] - انظر: المرجع السابق، ج ١٧، ص ٧١
[3] - انظر: السابق، ج ١٧، ص ٧٢

الفأس في رقبة الصنم الأكبر استهزاء بهم"[1]، يقول سيد قطب: " والـتهكم واضـح فـي هـذا الجواب الساخر. فلا داعي لتسمية هذه كذبة من إبراهيم عليه السلام والبحث عن تعليلها بشتى العلل التي اختلف عليها المفسرون . فالأمر أيسر من هذا بكثير! إنما أراد أن يقول لهـم: إن هذه التماثيل لا تدري من حطمها إن كنت أنا أم هذا الصنم الكبير الذي لا يملك مثلها حراكـاً. فهي جماد لا إدراك له أصلاً. وأنتم كذلك مثلها مـسلوبو الإدراك لا تميـزون بـين الجـائز والمستحيل. فلا تعرفون إن كنت أنا الذي حطمتها أم إن هذا التمثـال هـو الـذي حطمهـا ﴿فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ سورة الأنبياء، الآية: (٦٣)! ويبدو أن هذا التهكم الـساخر قـد هزهم هزاً، وردهم إلى شيء مـن التـدبر والتفكـر"[2]، ﴿فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ سورة الأنبياء، الآية: (٦٤)،" وكانت بادرة خير أن يستشعروا ما فـي مـوقفهم مـن سخف، وما في عبادتهم لهذه التماثيل من ظلم. وأن تتفتح بصيرتهم لأول مرة فيتدبروا ذاـك السخف الذي يأخذون به أنفسهم، وذلك الظلم الذي هم فيه سادرون، ولكنها لم تكن إلا ومضة واحدة أعقبها الظلام، وإلا خفقة واحدة عادت بعدها قلوبهم إلى الخمود"[3]،حيث أن القوم يعلمون أن هذه الحجارة غير قادرة على الكلام أو النطق فكيف تكون قادرة على حماية نفسها؟ ولكـن الاستكبار والتعالي من الاعتراف بدعوة إبراهيم أدى بهم إلى النكسة يقـول تعـالى مـصورا حالهم: ﴿ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَـٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾﴾ سـورة الأنبيـاء، الآيـة: (٦٥)، يصف سيد قطب حالهم:" وحقاً لقد كانت الأولى رجعة إلى النفوس، وكانت الثانية نكسة علـى الرؤوس؛ كما يقول التعبير القرآني المصور العجيب . . كانت الأولى حركة في النفس للنظر والتدبر. أما الثانية فكانت انقلاباً على الرأس فلا عقل ولا تفكير. وإلا فإن قولهم هذا الأخيـر هو الحجة عليهم. وأية حجة لإبراهيم أقوى من أن هؤلاء لا ينطقون؟!"[4]، ومن ثـم يـستنكر عليهم كفرهم و اعترافهم أن هذه الأصنام لا تنطق ومع هذا فهم يعبدونها قائلا لهـم: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا

---

[1] - التحرير والتنوير، ج ١٧، ص٧٢
[2] - في ظلال القرآن، ج ٥ ، ص ١٦٢
[3] - المرجع السابق، ج٥ ، ص ١٦٢
[4] - في ظلال القرآن، ج٥ ، ص ١٦٢.

﴿ تَعۡقِلُونَ ﴾ سورة الأنبياء، الآيـات: (٦٦-٦٧)، وفي المقابل نجد ردة أفعال قومه بموافقة أبيه عند ذلك أخذتهم العزة بالإثم كما تأخذ الطغاة دائماً حين يفقدون الحجة ويعوزهم الدليل، فيلجأون إلـى القوة الغاشمة والعذاب الغليظ "[1]: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقۡتُلُوهُ أَوۡ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة العنكبوت، آية: (٢٤)، ويكون القرار أن يحرقوه: ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ سورة الأنبياء، آية: (٦٨) ، وتكون هذه النار في بنيان عظيم يقول تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱبۡنُواْ لَهُۥ بُنۡيَٰنٗا فَأَلۡقُوهُ فِي ٱلۡجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ ﴾ سورة الـصافات ، آية : (٩٧)، إلا أن ا تعالى يحميه يقول رب العزة : ﴿ قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ ﴾ سورة الأنبياء ، آيـة : (٦٩)، وهذا دليل على حماية ا لعباده الصالحين إنه إبراهيم –عليه السلام– وصـفه تعـالى بقوله: ﴿ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾ ﴾ سورة النساء ، آيـة : (١٢٥) ، وتتابع الأحداث و ما يكون من الابن إلا أن يستغفر لأبيه وهو يدعو ا ﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ سورة الشعراء، آيـة : (٨٦) ، و يصف تعالى استغفار إبراهيم- عليه الـسلام-: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسۡتِغۡفَارُ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوۡعِدَةٖ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ﴿١١٤﴾ ﴾ سورة التوبة، آيـة : (١١٤)، وفي هذه الآية تأكيد على براءة إبراهيم من الكفر والكافرين ، يقـول ابـن عاشـور: "(أواه)أصله الذي يكثر التأوه، وهو قول: أوه. وأوه: اسم فعل نائب مناب أتوجع ، وهو هنـا كناية عن شدة اهتمامه بهموم الناس، والـ(منيب) من أناب إذا رجع، وهو مشتق من النوب وهو النزول، والمراد التّوبة من التقصير، أي محاسب نفسه على ما يحذر منه"[2].

---

[1] - في ظلال القرآن، ج ٥، ص ١٦٢

[2] - التحرير والتنوير، ج ٧، ص ١٧٢، وجاء في لسان العرب: " ورجل أَواه كثير الحـزن، وقيـل هـو: الدعاء إلى الخير،وقيل: الفقيه، وقيل: المؤمن بلغة الحبشة، وقيل: الرحيم الرقيق، وفي التنزيـل العزيـز(إن إبراهيم لحليم أَواه منيب)، وقيل الأواه هنا: المتأوه شَفَقاً وفَرقا، وقيل: المتضرع يقينـاً، أي: إيقانـاً بالإجابـة ولزوماً للطاعة هذا قول الزجاج، وقيل: الأواه المسبح، وقيل: هو الكثير الثناء، ويقال: الأواه الـدعاء" لـسان العرب، ج ١٣، ص٤٧٢

إذن **أواه**: كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس، **الإنابة**: الرجوع إلى الشيء بعد مفارقته وتركه، وأطلقها رب العزة على إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ سورة هود، آية: (٧٥)، **والحليم:** الذي يحتمل أسباب الغضب، فيصبر ويتأنى ولا يثور"[1].

والنتيجة أن الشخصية الإسلامية شخصية عقلية. الغلبة فيها للعقل، والسيطرة له على سلوك الفرد وتصرفاته، وعليه تترك القيادة للعقل، هذا ما أثبته إبراهيم -عليه السلام- عندما حاور أباه وقومه، وتبرز سمة تغليب العقل عند إبراهيم عندما جلس وحيدا يرفض عبادة الأصنام بعد أن حطمهم وترك الفأس عند كبيرهم مخاطبا القوم أن يسألوه من فعل هذا بآلهتنا؟﴿ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة الأنبياء، آية: (٦٥)، ويتركهم وحيدا يفكر من يكون ربه فينظر إلى الشمس والقمر ثم يخلص إلى أن ربه الله استدل عليه بإعمال العقل و كثرة التفكير انظر إلى هذه الآية: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآيات: (٧٨ – ٨٣).

فائدة: وإن ذكر القرآن الكريم صورة الأب الكافر فقد ذكرت مرة وهو آزر أبو إبراهيم -عليه السلام-.

أطلق الله تعالى على إبراهيم -عليه السلام- عدة صفات نذكر منها ما يأتي:

١- من صفات إبراهيم -عليه السلام- أنه كان مسلما، يقول تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِۦمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ سورة البقرة، الآيتان: (١٣١-١٣٢) ، ودعا إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام-

[1] - في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٥٤

ربهما أن يكونا مسلمين قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ سورة البقرة، آية: (١٢٨)، ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سورة أل عمران، آية: (٦٧)، ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ سورة النساء، آية: (١٢٥)، يقول مصطفى عليان:" وقد التقى الأنبياء عند الإسلام، العقيدة العقلية الصحيحة في شمولها للإنسان والكون والحياة، فأسلم إبراهيم لرب العالمين"[1].

٢- الإخلاص في العمل يظهر هذا في بناء البيت طالبا الرضا والقبول من ا تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ سورة البقرة، آية: (١٢٧).

٣- أواه: كثير التأوه على الذنوب والتأسف على الناس[2]، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ سورة التوبة، آية: (١١٤).

٤- منيب: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ سورة هود ، آية : (٧٥). وال (منيب):" من أناب إذا رجع، وهو مشتق من النوب وهو النزول، والمراد التوبة من التقصير، أي محاسب نفسه على ما يحذر منه، وحقيقة الإنابة: الرجوع إلى الشيء بعد مفارقته وتركه"[3]. وترددت الكلمة في أكثر من موضع في القرآن الكريم وفي السنة النبوية "وناب فلان إلى الله تعالى وأناب إليه إنابةً فهو منيب أَقْبلَ وتاب ورجع إلى الطاعة، وقيل ناب: لزم الطاعة، وأناب تاب ورجع، وفي حديث الدعاءِ (**وإليك أَنبتُ**)[4] الإنابةُ: الرجوع إلى الله بالتوبة، وفي التنزيل العزيز:

---

[1] - بناء الشخصية في القصة :القرآنية، ص ٢٢

[2] - وأضاف ابن عاشور في التحرير والتنوير، ج١١، ص٢٩٩: " وال (أواه) أصله الذي يكثر التأوه، وهو قول: أوه. وأوه: اسم فعل نائب مناب أتوجع، وهو هنا كناية عن شدة اهتمامه بهموم الناس".

[3] - التحرير والتنوير، ج١١، ص ٢٩٩

[4] - صحيح البخاري، ج١ ، ص٣٧٧

﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾ سورة الروم، آية: (٣١) أي: راجعين إلى ما أمر به غير خارجين عن شيءٍ من أمره، وقوله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ﴾ سورة الزمر، آية: (٥٤) أي: توبوا إليه وارجعوا"[1].

٥ - حليم: والحليم الذي يحتمل أسباب الغضب، فيصبر ويتأنى ولا يثور قـال تعـالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ ١١٤﴾ سورة التوبة، آية: (١١٤)، والفرق بين الحلم والصبر: أن الحلم هو الإمهـال بتأخير العقاب المستحق، والصابر:" هو الذي يصبر النفس عن القتل، ولا تجوز الصفة علـى ا تعالى بالصبر لأن المضار لا تلحقه، وتجوز الصفة عليه بالحلم لأنه صفة مدح وتعظيم "[2].

٦- شكور: " الشكْر عِرفان الإحسان ونَشْره وهو الشكُور أيضاً قال ثعلب الشكْر لا يكون إلا عن يدٍ"[3] و كان إبراهيم -عليه السلام- يأمر قومه بشكر ا قـائلا: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١٧﴾ سورة العنكبوت، آيـة : (١٧)، وقال تعالى في وصفه -عليه السلام-: ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾ سورة النحل، آية: (١٢١).

٧- كان إبراهيم -عليه السلام- حنيفاً:" قال الأخفش الحنيف المسلم وكان في الجاهلية يقال مـن اخْتَتَن وحج البيت حَنِيفٌ، لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دِين إبراهيم غير الخِتـان وحج البيتِ، فكل من اختتن وحج قيل له حنيف ، فلما جاء الإسلام تمـادتِ الحَنِيفِيـةُ، فـالحَنِيفُ المسلم"[4]. قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٢٠﴾ سـورة النحـل، آيـة: (١٢٠)، وقوله عز وجلّ: ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١٣٥﴾ سورة البقـرة، آيـة: (١٣٥)، وكذلك تأكيد الحنيفية لإبراهيم بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾ سورة أل عمران، آية: (٦٧)، وكذلك: ﴿قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗا وَمَا كَانَ مِنَ

[1] - لسان العرب، ج١ ، ص ٧٧٤
[2] - المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٠
[3] - لسان العرب، ج ٤ ، ص ٤٢٤
[4] - المرجع السابق، ج ٩ ، ص ٥٦

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ سورة آل عمران، آية: (٩٥)، وأيضا أثنى الله تعالى على نبيه إبراهيم -عليه السلام- بهذه الصفة في قوله: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ سورة النساء، آية: ١٢٥)، وما جاء على لسان إبراهيم -عليه السلام- إلا تقرير لهذه الصفة: ﴿ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾ سورة الأنعام، آية: (٧٩).

٨- الحكمة: ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾ سورة النساء، آية: (٥٤). يقول تعالى في وصف الحكمة: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ سورة البقرة، آية: (٢٦٩).

٩- الصدق: إن إبراهيم -عليه السلام- سأل ربه الصدق حينما دعا قائلا: ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ سورة الشعراء، آية: (٨٥)، ويستجيب له ربه قال تعالى: وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ سورة مريم، آية: (٤١)، وفي قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾﴾ سورة مريم، آية: (٥٠).والفرق بين الحق والصدق:" الحق في اللغة: هو الثابت الذي لا يسوغ إنكاره من حق الشيء، يحق، إذا ثبت ووجب، وفي اصطلاح أهل المعاني: الحكم المطابق للواقع، يطلق على الأقوال والعقائد، والأديان، والمذاهب باعتبار اشتمالها على ذلك، ويقابله الباطل. وأما الصدق، فقد شاع في الأقوال خاصة، ويقابله الكذب، وقد يفرق بينهما بأن المطابقة تعتبر في الحق من جانب الواقع وفي الصدق من جانب الحكم، فمعنى صدق الحكم مطابقته للواقع.ومعنى حقيته: مطابقة الواقع إياه، وقد يطلق الحق على الموجد للشيء، وعلى الحكمة، ولما يوجد عليه، كما يقال: الله: حق، وكلمته: حق.وقد يراد به الإقبال على الله تعالى بلزوم الأعمال الصالحة المطابقة للعقائد المطابقة للواقع، وبالباطل: الالتفات عنه إلى غير ذلك مما لا يجدي نفعا

في الآخرة"[1]. وفي وصف ا تعالى لإبراهيم –عليه السلام- وصفه بلسان صدق يؤكد أن الصدق يقع في الأقوال خاصة.

١٠- صاحب حجة قوية يعمد فيها إلى استعمال العقل، وإثارة التفكير، وقد كان من قومه أن أكدوا له هذه الخصيصة حينما كسر الأصنام[2]، وفي حديثه -عليه السلام- مع النمرود في الآية الآتيـة: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ سورة البقرة، آية: (٢٥٨)، يقول سيد قطب:" ﴿ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾. وهي حقيقة كونية مكرورة كذلك؛ تطالع الأنظار والمدارك كل يوم؛ ولا تتخلـف مرة ولا تتأخر، وهي شاهد يخاطب الفطرة -حتى ولو لم يعرف الإنسان شيئاً عن تركيـب هـذا الكون، ولم يتعلم شيئاً من حقائق الفلك ونظرياته- والرسالات تخاطب فطرة الكائن البشري في أية مرحلة من مراحل نموه العقلي والثقافي والاجتماعي ، لتأخذ بيده من الموضع الذي هو فيه، ومن ثم كان هذا التحدي الذي يخاطب الفطرة كما يتحدث بلسان الواقع الذي لا يقبل الجدل:﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ﴾، فالتحدي قائم، والأمر ظاهر، ولا سبيل إلى سوء الفهم، أو الجـدال والمـراء . . وكـان التسليم أولى والإيمان أجدر. ولكن الكبر عن الرجوع إلى الحق يمسك بالذي كفر، فيبهتُ ويـبلس ويتحير، ولا يهديه ا إلى الحق لأنه لم يتلمس الهداية، ولم يرغب في الحق؛ ولم يلتـزم القـصد والعدل﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾ سورة البقرة، آية: (٢٥٨"[3]، وبهت "فعل مبني للمجهول. يقال:

[1] - معجم الفروق اللغوية، ج١، ص ١٣٣

[2] - انظر: دلائل الإعجاز، ج١، ص ١٠١، و تحرير والتنوير، ج١٧ ، ص ٧٢- ٧٤، و في ظلال القرآن، ج٥، ص ١٦٢.

[3] - في ظلال القرآن، ج١، ص ٢٧٨

بهته فبهت بمعنى أعجزه عن الجواب فعجز أو فاجأه بما لم يعرف دفعه، قال تعالى: ﴿ بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ ﴾سورة الأنبياء، آية: (٤٠) . . ومنه البهتان وهو الكذب الفظيع الذي يبهت سامعه"[1].

١١- اعتزال المنكر يقول تعالى على لسان إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ سورة مريم ، آية : (٤٨) .

١٢- الخوف وأخذ أكثر من صورة منها:

أ- الوجل وهو: الفزع والخوف، قال تعالى: ﴿ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ ﴾ سورة الحجر، آية: (٥٣).

ب- الوجس: جاء في لسان العرب: " (وجس) أَوجس القلب فَزعاً أَحس به وفي التنزيل العزيز ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ سورة الذاريات، آية: (٢٨). قال أَبو إِسحق: معناه فأَضمر منهم خَوفاً، وكذلك التوجس، وقال في موضع آخر: معنى أَوجس: وقع في نفسه الخوفُ، وقال الليث: الوجس فَزعة القلب، والوجس الفَزع يقع في القلب أَو في السمع من صوت أَو غير ذلك"[2]، قال تعالى: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ﴾ سورة الذاريات ، آية : (٢٨) . ويقول تعالى: ﴿وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ سورة هود، آية: (٧٠) ، يقول ابن عاشور:" أي أحس في نفسه خيفة منهم وأضمر ذلك.. لأنّه لما أوجس منهم خيفة ظهر أثرها على ملامحه، فكان ظهور أثرها بمنزلة قوله: إنّي خفت منكم، ولذلك أجابوا ما في نفسه بقولهم: ﴿ لَا تَخَفْ ﴾، فحكي ذلك عنهم بالطّريقة الّتي تحكى بها المحاورات، أو هو جواب لكلام مقدر دلّ عليه قوله: ﴿ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾، أي وقال لهم: إنّي خفت منكم"[3]، وعليه يظهر جليا للقارئ أثر الحوار ودوره في رسم الشخصية،

---

[1] - التحرير والتنوير، ج٢، ص ٥٠٧، " والبهت: الغلب المفاجئ المعجز عن المدافعة " انظر: التحرير والتنوير، ج١٧، ص٥٣، وانظر: لسان العرب، ص ٢، ص ١٢

[2] - لسان العرب، مادة (وجس).

[3] - التحرير والتنوير، ج ٧، ص ١٦٩

حيث كشف الحوار السابق أبعاد شخصية إبراهيم-عليه السلام- مـن بعـد خـارجي إذ ظهرت آثار الخوف على تعابير وجهه وقسماته-عليه السلام-، ونحـن لا نـراه-عليـه السلام- وإنما ما تلفظت به الملائكة من كلمات (قَالُواْ لَا تَخَفْ) كان كفـيلا برسـم وجـه إبراهيم-عليه السلام-، ومن بعد داخلي ظهر أيضا في خوفـه مـن ضـيوفه إذ لا زال ينكرهم في قوله تعالى على لسان الملائكة:(إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ).

ج- الروع: " يدل على فزع أو مستَقَر فزع. من ذلك الروع. يقال روعت فُلاناً ورعتُه: أفزعتُه. والأروع من الرجال: ذو الجِسم والجهارة، كأنه مِن ذلك يروع من يـراه "[1]،و يصف ا تعالى حال إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤ ﴾سورة هود، آية: (٧٤).

د- والخوف الحقيقي عندما قـال لأبيـه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ ﴾ سورة مريم، آية: (٤٥)، إلا أن نفس المؤمن تستقر وتهدأ بأن ا معها حيث يصل إبراهيم -عليه السلام- إلى حقيقة خوفه لا تكون إلا من ا تعالى ضمن هذه المعادلة المنطقية عندما خاطب قومه قـائلا: ﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١ ﴾سورة الأنعام، آية: (٨١). ويمكن ترتيب مراتب الخوف على النحو الآتي: الوجس لأنه أول ما يقع في النفس من خوف، وهذا ما وصف ا تعالى به إبراهيم -عليه السلام- بقوله تعالى: ﴿ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨ ﴾ سورة الذاريات، آية: (٢٨) ، ثم الروع، ثـم الوجـل وأخيـرا الخوف الحقيقي.

---

[1] - ابن فارس، محمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م، ج ٢ ، ص ٣٨١

١٣- الإحسان: قال تعالى مخاطبا إبـراهيم: ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾

سورة الصافات، آية: (١٠٥)، وتتكرر الآية في نفس السورة يقول تعـالى: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾

سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ سورة الصافات، الآيـات: (١٠٨-١١٠)، ويقـول تعـالى:

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ

وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سورة الأنعام، آية: (٨٤)، "وفسر النبي - صـلى ا

عليه وسلم- الإحسان حين سأله جبريل صلوات ا عليهما وسلامه، فقال هو: **(أن تعبـد ا كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يـراك)**[1]، وهـو تأويـلُ قولـه تعـالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ

وَٱلْإِحْسَٰنِ ﴾ سورة النحل، آيـة: (٩٠)، وأراد بالإحسان الإخْلاص، وهو شرطٌ في صـحة الإيمـان والإسلام معاً، وذلك أن من تلفظ بالكلمة وجاء بالعمل من غير إخْلاص لم يكـن محـسِناً وإن كان إيمانُه صحيحاً، وقيل: أراد بالإحسان الإشارةَ إلى المراقبة وحسن الطاعة، فإن من راقب ا أحسن عمله، وقد أشار إليه في الحديث بقوله : **(فإن لم تكن تراه فإنه يراك)**"[2].

١٤- الاستغفار حيث أخذ أكثر من صورة، وتدرج من الخاص إلى العـام، فقـد اسـتغفر لوالده[3] إذ قال: ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ سورة الممتحنة، آيـة: (٤)، وكان -عليـه السلام- يستغفر قائلا: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة إبراهيم، آية: (٤١).

[1] - صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبدا البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٩٨٧، ج١، ص ٢٧

[2] - صحيح البخاري، ج١، ص٢٧

[3] - وكان استغفار إبراهيم –عليه السلام– لوالده حـين قـال: ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ﴾ سورة الممتحنة، آية: (٤)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ سورة الممتحنة، آية: (١١٤).

١٥- التوكل على الله[1]: ﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ سورة الممتحنة، آية: (٤).

١٦- الرشد فقد وصف الله تعالى إبراهيم -عليه السلام- بقوله: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ سورة الممتحنة، آية: (٥١).

[1] - تقدم توضيح معنى التوكل في ص ٦٢ من هذه الدراسة.

الشخصية الإسلامية الثالثة

لوط – عليه السلام –

بدأ التعريف بهذه الشخصية في القرآن الكريم من خلال المشهد الحواري الذي دار بين إبراهيم -عليه السلام- وضيوفه المكرمين، يقول تعالى: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ (٣٣) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ (٣٤) فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) ﴾ سورة الذاريات، الآيات: (٣١ – ٣٦)، ويوضح المشهد الآيات التالية: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا ۙ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ (٦٠) ﴾ سورة الحجر، الآيات: (٥٧-٦٠)، وملخص الأحداث ضمن التسلسل الزمني أن: ١- لوط -عليه السلام- كان مؤمنا.

٢- تُقر له الملائكة بالإسلام إذ تنسب الإسلام إلى بيته حيث جاء على لسان الملائكة: ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) ﴾ سورة الذاريات، آية: (٣٦).

٣- استثناء امرأة لوط-عليه السلام- لم تكن من المسلمين، قال تعالى يصف حال امرأة لوط -عليه السلام- :﴿ وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٣٣) ﴾ سورة العنكبوت، آية: (٣٣).

٤- انتشار الفاحشة بين قوم لوط -عليه السلام-، ولذلك سماهم الله تعالى بالمجرمين، يقول تعالى على لسان لوط-عليه السلام-: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) ﴾ سورة الأعراف، الآيتان: (٨٠-٨١).

٥- موقف إبراهيم -عليه السلام-: ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ سورة العنكبوت، الآيتان: (٣١-٣٢).

٦- موقف لوط -عليه السلام- والذي سلك فيه عدة طرق: في البداية تعجب من فعلهم، واستنكر عليهم ما هم فيه قائلا لهم: ﴿إِنِّي لَكُمۡ رَسُولٌ أَمِينٞ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ سورة الشعراء، الآيات: (١٦٢-١٦٦)، ثم يتحول الاستنكار إلى تأكيد الفعل السيئ، وإلصاقه بهم واصفا إياهم بالإسراف[1] حين قال لهم: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ أَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ سورة الأعراف، الآيتان: (٨٠-٨١)، ثم استنكر -عليه السلام- مع تفصيل دقيق للفاحشة التي اختص بها قومه -هذه الفاحشة[2] هم أول من ابتدعها وقاموا بها- مخاطبا إياهم: ﴿وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ سورة العنكبوت، الآيتان: (٢٨-٢٩). ثم يلجأ إلى الدعاء

[1] - جاء في معجم الفروق اللغوية للعسكري، ج١، ص ٧٩- ٨٠: " الإسراف: تجاوز الحد في صرف المال، والتبذير: اتلافه في غير موضعه . . وقيل: وليس الإسراف متعلقا بالمال فقط، بل بكل شئ وضع في غير موضعه اللائق به .ألا ترى أن ا سبحانه وصف قوم لوط بالإسراف لوضعهم البذر في غير المحرث"، وعليه يكون الإسراف في تجاوز الحد والخروج عن الفطرة.

[2] - وترتيب هذه الفاحشة من العام إلى الخاص على لسان لوط -عليه السلام-، وهو يخاطب قومه: قال تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ سورة العنكبوت، الآية: (٢٨)، ثم تفصيل في قوله: ﴿إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهۡوَةٗ مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ سورة الأعراف، الآية: (٨١)، وكذلك قوله: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ﴾ سورة العنكبوت، الآية: (٢٩)، وأيضا قوله: ﴿أَتَأۡتُونَ ٱلذُّكۡرَانَ مِنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾﴾ سورة الشعراء، الآية: (١٦٥).

وطلب النصر قائلا: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة العنكبوت، الآيـة: (٣٠)، ويتأثر عليه السلام كثيرا ويصل إلى حالة من الاستياء وضيق الصدر مـن قومـه: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗاۖ وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة العنكبوت، الآية: (٣٣).

٧- موقف قـوم لـوط -عليـه الـسلام-: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ سورة الأعراف، الآية: (٨٢)، ثم التحدي: ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة العنكبوت، الآيـة: (٢٩)، **وصولا** إلـى القرار الذي أجمعوا عليه قائلين: ﴿ قَالُواْ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُخۡرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآية: (١٦٧).

٨- نتيجة كلّ من:[1]

- قوم لوط -عليه السلام- وامرأته: جاء في القرآن الكريم وصف نتيجتهم بأربع صـور هي:

١- الطمس على الأعين، وكان هذا بداية العذاب لهم، قال تعـالى: ﴿ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ ﴾ سورة القمر، آية:(٣٧)، يقول سيد قطـب: " (فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ) فلـم يعودوا يرون شيئاً ولا أحداً؛ ولم يعودوا يقدرون على مساورة لـوط ولا الإمـساك بـضيفه!

[1] - ذكرت عاقبة امرأة لوط -عليه السلام- في القرآن الكريم في أربعة مواضع، وقد سـاوى بـين قومـه وامرأته في النتيجة، وكلها تؤكد أنها من الغابرين، وهذه في أربع سور هـي: ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ سورة الأعراف، آية: (٨٣)، ﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ سورة الحجر، آيـة: (٦٠)، ﴿ فَأَنجَيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَٰهَا مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ سورة النمل، آية: (٥٧)، ﴿ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة العنكبوت، آية: (٣٢).

والإشارة إلى طمس أعينهم لا ترد إلا في هذا الموضع بهذا الوضوح؛ ففـي موضـع آخـر ورد:﴿ قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ ﴾ سورة هود، الآية: (٨١)، فزاد هنا ذكـر الحالـة التـي صارت تمنعهم من أن يصلوا إليه ،وهي انطماس العيون ، وبينما الـسياق يجـري مجـرى الحكاية، إذا به حاضر مشهود، وإذا الخطاب يوجه إلى المعذبين: ﴿ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ٣٧ ﴾ سورة القمر، آية:(٣٧)، فهذا هو العذاب الذي حذرتم منه، وهذه هي النذر التي تماريتم فيها. وكان طمس العيون في المساء في انتظار الصباح الذي قدره ا لأخذهم جميعاً"[١].

٢- الرجز من السماء، ومعنى" الرجز في القرآن هو: العذاب المقَلْقِل لشدته ولـه قلقلـةٌ شديدةٌ متتابعة"[٢]، قال تعالى فيهم: ﴿ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٣٤ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٣٥ ﴾ سورة العنكبوت ، الآيتان : (٣٤-٣٥).

٣- المطر، وقد وصفه القرآن الكريم في أكثر من صورة، قال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ٨٣ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٨٤ ﴾ سورة الأعـراف، الآيتان: (٨٣-٨٤)، وقال تعالى: ﴿ وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهِم مَّطَرٗاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلۡمُنذَرِينَ ٥٨ ﴾ سورة النمـل، الآيـة: (٥٨)، وفي وصف هذا المطر يقول رب العزة: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ ﴾ سـورة هود، آية: (٨٢).

٤- جعل ا عاليها سافلها، يقول تعالى في وصف حالهم: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ٨٢ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ ٨٣ ﴾ سورة هود، الآيتان: (٨٢-٨٣).

---

[1] - في ظلال القرآن، ج٧، ص ٨٣

[2] - لسان العرب، مادة (رجز)، الرجز و الرجز بالكسر والضم ومعناهما واحد وهو: العمل الذي يؤدي إلى العذاب.

٥- الصيحة، يقول سبحانه وتعالى فيهم: ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة الحجر، الآيـات: (٧٢-٧٦). وفي سورة الحجر جمعت الآيات الصور الخمس السابقة، قـال تعـالى: ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ سورة الحجر، الآيـات: (٧٢-٧٦)، فعبر عـن انطمـاس الأعين بصورة ثانية هي:(لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ).

- لوط -عليه السلام- وبناته، قال تعالى: ﴿ فَأَنجَيْنَـٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ ﴾ سورة الأعراف، آية: (٨٣)، وقـال سبحانه: ﴿ وَنَجَّيْنَـٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَـٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ ﴾ سورة الأنبيـاء، الآيـة: (٧١)، وقولـه تعـالى: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَـٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَـٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ سورة الأنبياء، الآيات: (٧٤-٧٥)، ويقـول عـز وجـلّ: ﴿ قَالُوا۟ يَـٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ ۖ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ ۚ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ ۚ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة هود، الآية: (٨١).

ومن الصفات التي اتصف بها لوط -عليه السلام- نذكر منها ما يأتي:

١- أنه كان مسلما، يقول تعالى على لسان الملائكة في الحوار الذي دار بين الملائكة -عليهم السلام- وإبراهيم -عليه السلام-: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة الذاريات، الآيات: (٣١ – ٣٦).

٢- الطهارة، وهذه الصفة تظهر بقوله تعالى:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة الأعراف، الآيتان: (٨٠-٨١). وفي قوله تعالى على لسان لوط-عليه السلام- تظهر صفة الطهارة بمخالفة الفطرة باستنكاره فعلهـم قـائلا:﴿ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآيات: (١٦٢-١٦٦)، ويقر قومه –عليه السلام- بطهارته قـائلين: ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ سورة الأعراف، الآية: (٨٢).

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي الآيات نجد أن لوطا -عليـه الـسلام- اتخـذ طريقين في ذلك هما :

الطريق الأول: الأمر باللسان، وهذا يظهر في قوله تعـالى:﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ ﴾ سورة العنكبوت، الآيتان: (٢٨-٢٩).

والطريق الثاني: الإنكار في القلب، حيث ظهر على شكلين هما: الدعاء في قوله تعـالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة العنكبوت، الآية: (٣٠)، وضـيق فـي الـصدر، يصف ا تعالى حاله: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة العنكبوت، الآية: (٣٣).

٤- عدم اليأس من المحاورة، فقد تكررت الجمل التي قدمها لوط -عليه السلام- أكثـر مـن موضع ما بين التحذير من فعل الفاحشة، ووصفها لبيان قبحها، قال تعـالى:﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ

ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآيـات: (١٦٢-١٦٦)،

وفي قوله تعالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة الأعراف، الآيتـان: (٨٠-٨١)، ويقول تعـالى: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ ﴾ سورة العنكبوت، الآيتان: (٢٨-٢٩). ويؤكد قومه تكرار تنبيه لوط –عليه السلام- لهم ودعوته إيـاهم دون ملـل أو ضـجر بقولهم: ﴿ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآية: (١٦٧).

٥- تقديم النصيحة في سبيل الله دون انتظار الأجر، قال تعالى على لـسان لـوط –عليـه الـسلام-: ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآيات: (١٦٢-١٦٦).

٦- التفضيل من الله تعالى على الناس أجمعين، قـال تعـالى: ﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ سورة الأنعام، الآية: (٨٦).

٧- العلم والحكمة[1]: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ سورة الأنبياء، الآيات: (٧٤ - ٧٥).

٨- تقوى الله تعالى، ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآيات:(١٦١ - ١٦٣). والتقوى هي:" التقوى خصلة مـن الطاعـة يحتـرز بهـا مـن

[1] - تقدم الحديث عن معنى الحكمة في ص٧٠ من هذه الدراسة.

العقوبة.والتقى: صفة مدح لا تطلق إلاعلى من يستحق الثواب. والفرق بين التقوى والطاعة: المستفاد من الروايات هو أن الطاعة: الانقياد لمطلوب الشارع بما أمر به واجبا كان أم مستحبا. والتقوى: كف النفس عما نهى الشارع عنه حراما كان أم مكروها"[1].

٩- الأمانة، وهذه الصفة وصف لوط –عليه السلام- نفسه بها عندما قال: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآيتان: (١٦١ - ١٦٣).

١٠- الصلاح قال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة التحريم، الآية: (١٠). والصلاح هو:" الاستقامة على ما تدعو إليه الحكمة، ويكون في الضر والنفع كالمرض يكون صلاحا للإنسان في وقت دون الصحة، وذلك أنه يؤدي إلى النفع في باب الدين، فأما الألم الذي لا يؤدي إلى النفع فلا يسمى صلاحا مثل عذاب جهنم؛ فإنه لا يؤدي إلى نفع ولا هو نفع في نفسه، ويقال أفعال ا تعالى كلها خير ولا يقال عذاب الآخرة خير للمعذبين به، وقيل الصلاح التغير إلى استقامة الحال، والصالح المتغير إلى استقامة الحال"[2].

[1] - معجم الفروق اللغوية للعسكري، ج ١، ص ٩٥، الفرق بين الاتقاء والخشية: أن في الاتقاء معنى الاحتراس مما يخاف وليس ذلك في الخشية.
[2] - المرجع السابق، ج١، ص٢٢٠

الشخصية الإسلامية الرابعة

إسماعيل -عليه السلام-

عند تتبع الجمل الحوارية التي نطق بها إسماعيل -عليه السلام- تجد أنها جمل قليلة بالمقارنة مع الجمل الحوارية للشخصيات القرآنية قيد الدراسة، فمثلا نجد هذا الدعاء على لسان إبراهيم وإسماعيل -عليهما السلام- قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ سورة البقرة، الآيات: (١٢٧-١٢٩)، والحوار الذي دار بين إبراهيم و إسماعيل– عليهما السلام– قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ ﴾ سورة الصافات، الآيتان: (١٠٢ – ١١٣)، تعرض الآيات صورة الابن الصالح والأب الصالح، ففي عرض الحوار الذي دار بين نوح وابنه وجدنا عقوق الولد، وعدم الانتباه إلى النصيحة، والعناد من قبل الابن، أما في هذا الأنموذج الابن الذي يساعد أباه في بناء الكعبة، ويرفع معه القواعد، ويؤسس مع أبيه البناء، حتى إن الدعاء عند انتهاء العمل كان على نبرة واحدة وصوت واحد اتحدا فيه، يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾ سورة البقرة، آية: (١٦٣)، يقول سيد قطب:" إذا بالسياق يكشف لنا

عنهما، ويرينا إياهما، كما لو كانت رؤية العين لا رؤيا الخيال. إنهما أمامنا حاضران، نكـاد نسمع صوتيهما يبتهلان:﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا .. ﴾ فنغمة الدعاء، وموسـيقى الدعاء، وجو الدعاء، كلها حاضرة كأنها تقع اللحظة حية شاخصة متحركـة، وتلـك إحـدى خصائص التعبير القرآني الجميل . رد المشهد الغائب الذاهب ، حاضراً يسمع ويرى، ويتحرك ويشخص، وتفيض منه الحياة، إنها خصيصة «التصوير الفني» بمعناه الصادق، اللائق بالكتاب الخالد، وماذا في ثنايا الدعاء؟ إنه أدب النبوة، وإيمان النبوة، وشعور النبوة بقيمة العقيدة فـي هذا الوجود، وهو الأدب والإيمان والشعور الذي يريد القرآن أن يعلمه لورثة الأنبيـاء ، وأن يعمقه في قلوبهم ومشاعرهم بهذا الإيحاء: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ إنه طلـب القبول هذه هي الغاية؛ فهو عمل خالص . الاتجاه به في قنوت وخشوع إلـى ا ، والغايـة المرتجاة من ورائه هي الرضا والقبول . . والرجاء في قبوله متعلق بأن ا سـميع للـدعاء. عليم بما وراءه من النية والشعور ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ إنه رجاء العون من ربهما في الهداية إلى الإسلام؛ والشعور بأن قلبيهما بين أصبعين من أصابع الرحمن؛ وأن الهدى هداه، وأنه لا حول لهما ولا قـوة إلا با ، فهما يتجهان ويرغبان، وا المستعان، ثم هو طابع الأمـة المـسلمة . . التـضامن . . تضامن الأجيال في العقيدة:﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ وهي دعوة تكشف عن اهتمامات القلب المؤمن"[1].

وبعد الانتهاء من العمل لا بد من الجزاء، وماذا يمكن أن يكون؟ الأب يرى في المنام أنه يذبح ابنه، والابن الصالح يجيـب دون أي تـردد: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة الصافات، آية: (١٠٢)، ويحتاج المشهد إلى جملة وصفية تصف الأحداث بأقـل عدد من الكلمات والحروف يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾ سورة الـصافات، آيـة: (١٠٣)،

[1] - في ظلال القرآن.ج١، ص ٨٨

يقول ابن عاشور:" أي: أسلما[1] الأمر فاستسلام إبراهيم بالتهيؤ لذبح ابنه، واستسلام الغـلام بطاعة أبيه فيما بلغه عن ربه، و(تله [2]): صرعه على الأرض، وهو فعل مشتق من اسم التل وهو الصبرة من التراب، تشبيه شدة التمكين كأنه ألقاه في يده، والمعنى: أنه ألقاه على الأرض على جانب بحيث يباشر جبينه الأرض من شدة الاتصال"[3].

وهكذا نجد أن ا تعالى أمد إسماعيل -عليه السلام- بنعم كثيرة ذكرت في القرآن الكـريم منها: نعمة الإسلام، قـال تعـالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ سورة البقرة، آية: (١٣٦)، وقوله عز وجلّ: ﴿ ۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ ﴾ سورة النساء، آية: (١٦٣).

ومن صفات إسماعيل-عليه السلام- التي نستخلصها من الآيات في الذكر الحكيم:

١- الصبر: قال تعالى في وصفه: ﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِدۡرِيسَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ سورة الأنبياء، آية: (٨٥)، وقال عز وجلّ: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سـورة الصافات، آية: (١٠٢).

٢- طاعة الوالدين، وتظهر هذه الصفة بقوله -عليه السلام-: ﴿ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة الصافات، آية: (١٠٢).

---

[1] - أسلما: استسلما. يقال: سلم واستسلم وأسلم بمعنى: انقاد وخضع. والجبين: أحد جانبي الجبهة.

[2] - جاء في لسان العرب، ج١١، ص ٧٨:" تله يتُله تَلا فهو متلول، وتَليل: صرعه، وقيل: ألقاه على عنقـه وخَده والأول أعلى، وبه فسر قوله تعالى: (فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ) صرعه كما تقـول كبـه لوجهـه، والتليـلُ والمتْلول: الصريع، وقال قتادة: (وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ) كَبَّه لفيه وأخذ الشفْرة، وتُل إذا صرع ".

[3] - التحرير والتنوير، ج٢٣، ص ٦٥- ٦٦، والمراد: أنه صدق ما رآه إلى حد إمرار السكين علـى رقبـة ابنه.

٣- إتقان العمل الذي أخذ عدة درجات منها: إخلاص النية تعالى، وإتمـام العمـل حتـى نهايته، والدعاء أثناء العمل وبعد الانتهاء منه، ويظهر هذا في قولـه تعـالى: ﴿وَإِذۡ يَرۡفَعُ إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٢٧﴾ سورة البقرة، آية: (١٢٧).

٤- الصدق وتميز إسماعيل -عليه السلام- بأنه صـادق الوعـد: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ سورة مريم، آية: (٥٤).

٥- الإحسان ، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢﴾ سورة البقرة، الآيات: (١٣٠-١٣٢).

٦- إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بهما، يقول تعـالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ سورة مريم، آية: (٥٤ – ٥٥).

الشخصية الإسلامية الخامسة

يعقوب - عليه السلام -

يعقوب -عليه السلام- الأب الحكيم صاحب النظرة الثاقبة يرى التكتم عـن الإفـصاح والمجاهرة بهذه الرؤيا -كما سماها يعقوب- وهو يوصي ابنه قـائلا لـه:﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ ﴾ سورة يوسف، آية: (٥)، وهو مع هذا الأمر﴿ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ ﴾ يبين السبب -لابنه الصغير- معللا وموضحا في سعة صدر، وقوة تحمل في استيعاب الأطفال، قائلا لابنـه: إنني أخاف عليك لأكثر من سبب منها: كيد إخوتك لك ﴿ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًا ﴾، والسبب الثاني هو: كيد الشيطان مؤكدا له عداوته ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٥ ﴾ سورة يوسف، آيـة: (٥)، والسبب الثالث: سبب خفي لم يفصح عنه الأب ألا وهو: رؤية مستقبل بـاهر لهـذا الطفل ، وشأن عظيم سيصل إليه ، فهذه رؤية وبشارة لم تكن مجرد حلـم ﴿ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖ ﴾ سورة يوسف، آية: (٤٤)، لذلك عبر عنها يعقوب -عليه السلام- بقولـه:﴿ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ ﴾، وتُظهر الآيات في وقفة وصفية البعد الاجتماعي لهذه العائلة التي تتكون من عدد كبير من الإخوة، مظهرة نوعا من الغيرة بين الأبناء- وهذا من واقع الحياة المعاصـرة- مـع أن هؤلاء الإخوة هم أبناء نبي ولكن من حكمة ا أن يكشف لنا كيف عـاش الأنبيـاء فـي صورة حقيقية وكيف تعامل معهم هذا الأب الحكيم، قال تعالى: ﴿ لَّقَدۡ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخۡوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٞ لِّلسَّآئِلِينَ ٧ ﴾ سورة يوسف، آيـة: (٧)، تنتقل الأحداث إلى اجتماع مغلق بين الإخوة يتبـاحثون أمر يوسف الطفل الصغير يتآمرون عليه، ويكشف الستار عن هذه المؤامرة قولـه عـز وجلّ: ﴿ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ أَجۡمَعُوٓاْ أَمۡرَهُمۡ وَهُمۡ يَمۡكُرُونَ ١٠٢ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٠٢)، ويؤكد هذه الحقيقـة رب العـزة: ﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ

حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ سورة يوسف، آيـة: (١١١)، يصرح الإخوة عما في نفوسهم قـائلين بوحـدة: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٨)، صوت جمعي يتحد فيه الجميع، وهذا من أسباب خوف يعقوب –عليه السلام- على ابنـه عنـدما وصف علاقة يوسف بإخوته قائلا لـه وحـذرا: ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ﴾ سورة يوسف، آيـة: (٥)، فهو يتوقع الكيد من أبنائه وما توقعه الأب يتحقق فـي اجتمـاع الإخوة، وتكون نتيجة المؤامرة أن: ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ سورة يوسف، آية: (٩)، تكشف هذه المقولة عن أبعاد نفسية في داخل الإخوة تكون نتيجتها إقصاء يوسـف الطفـل مـن طريقهم بحيث لا يراه يعقوب –عليه السلام- أنظر إلى هذه الجملة ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ سورة يوسف، آية: (٩)، فلا يعود يرى يوسف، ثم ينساه وهكذا لا يرى سواكم فيكون حبه لكـم، وضمير الإخوة فيه بعض اليقظة والرحمة بهذا الطفل انظر إلى التسلسل الرحيم من رؤية الإخوة:

١- ﴿ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ ﴾، أو ٢:- ﴿ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾، ثم ٣:- ﴿ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٩)، ويكشف الحوار اجماعا بين الإخوة، والتّذمر من محبـة الأب لـه. يعكـس الاجتماع الذي أخذ طابعاً فكرياً عن الأب وابنه. وظهر الحوار في صـيغة الأمـر (اقتلـوا، اطرحوا) ليتحول إلى المضارع أي النتيجة: ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾ سورة يوسف، آية: (٩). إن فكـرة القتل كأول وسيلة للتخلّص من يوسف لفكرة مخيفة تهز الوجدان، ولا يقبلها العقل لأنـه قتـلٌ مبني على الظّلم، ثم تتقدم الفكرة من خلال حوار الأخوة أو ﴿ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾ فكرة تبدو أكثـر

اعتدالاً وسواء الاختيار النّهائي للفكرة الأولى أو الثانية مع تعديل عليها، فـالأخوة ظنّـوا أن سعادتهم بعد التخلّص من يوسف باعتقادهم أن التّوبة ستبرر في وقت لاحق[١].

يقول سيد قطب: "وليست التّوبة هكذا، وإنما تكون التوبة في الخطيئة التي ينـدفع إليهـا المرء غافلاً جاهلاً غير ذاكر، حتى إذا تذكّر ندم، وجاشت نفسه بالتوبة، أما التّوبة الجـاهزة، التوبة التي تعد سلفاً قبل ارتكاب الجريمة لإزالة معالمها، فليست بالتوبة، إنمـا هـي تبريـر لارتكاب الجريمة"[٢].

أظهر حوار الأخوة اختلاف الرأي، وأظهر النوازع الداخلية والأبعاد النفـسية، و حلقـة حوار مثيرة للدهشة والعجب، الحوار يجرى بين الأب وابنه-الصغير من حيث الـسن- ممـا يشير إلى نضوج مبكر في تفكير يوسف –عليه السلام-، وهذا يظهر في إبلاغه والـده عـن منامه ودقة وصفه. وتوحي الآية بأن حديثا مطولا كان يدور بين يوسف – عليـه الـسلام - وأبيه بدليل:(**إذ**) للاستئناف في هذا الموضوع، ولكن ذكر القرآن للجزء الأهم المتعلق بـنص الرؤية المقدمة في إطار رمزي يجمع فيه بين الطبيعة والإنسان من حيث الخضوع تعالى، وأن الأحد عشر كوكبا يقفون رمزا لأخوة يوسف في حين أن الشمس والقمـر يقفـان رمـزا لوالديه على أن سجود هذه الظواهر الطبيعية يعنى أن التعظيم له من قبل كل أفـراد عائلتـه لمنزلته، ومكانة روحية، ودينية سيحظى بها في وقت لاحق"[٣].

من ثم بعد هذه العروض يتدخل من يجد الحل الأرحم: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٠). تقفز **الأحداث** في إيجاز، ونحن ما زلنا في صورة من مجالس العائلة. يأتي الإخوة إلى أبيهم يطلبون منه خروج أخيهم معهم متحججين﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ سورة يوسف، آيـة: **(١١)**، **وهـم** يعلمون ما يخفون ويضمرون. توضح جملة النداء: (**يا أبانا**) وكلمة (**لا تأمنا**) البعد النفـسي الذي يعيشه الإخوة: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: **(١١)**

---

[1]- انظر: الدجاني، زاهية. يوسف في القرآن الكريم والتوراة مع دراسة مقارنة للمشاهد والعبر، دار التقريب بين المذاهب الإنسانية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م، ص ٢٤

[2] - في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٩٤

[3] - قصة يوسف في القرآن الكريم والتوراة، ص ٢٤

ويجيب الأب بإجابات غير مقنعـة: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آيـة: (١٣)، وفي إيجاز تقفز الأحداث بعدة حروف تصف ثم تنفيذ المؤامرة، وما اتفقوا عليه بالإجماع ﴿ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ ﴾ سورة يوسف، آية: **(١٥)**، ومع هذا فإن ا لا يتخلى عن عباده، قال تعـالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة يوسف، آيـة: **(١٥)**، أنزل السكينة والطمأنينة في قلب هذا الطفل، وتستمر الأحداث في فترة العشاء أي في الليل يصف حالهم قوله تعـالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ سورة يوسف، آية: **(١٦)**، وهم يكذبون ويفتعلون الأحداث كـذبا وبهتانـا ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ سورة يوسف، الآيتان: (١٧-١٨)، يثبت كذبهم عدة قرائن منها:

١- من قولهم ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ سورة يوسف، آية: **(١٧)**، فهم يعترفون على أنفسهم بالكذب ﴿ وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾

٢- الدم الكذب الذي كان على القميص، فكيف يأكل الذئب يوسف، ومع هذا يبقى قميصه دون آثار لأنياب الذئب أو حتى رائحته؟

٣- إجابة يعقوب –عليه السلام– لهم: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: **(١٨)**، تدل هذه الإجابة على أن يعقوب–عليه السلام– كان يشعر بكيد إخوة يوسف، وأحس أن هناك ما أضمره الإخوة بحق يوسف حيث قال: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ﴾ سورة يوسف، آية: **(١٨)**.

أخذت الأحداث منهجا زمنيا متسلسلا في وحدة قصصية معقدة الجوانب متعددة الأطـراف، ترى فيها اختلاف الأماكن وتعددها، فمرة في حضن الأب ، ومرة في اجتماع الإخوة المغلق، ومرة في المفاوضات بين الأبناء ويعقوب -عليه السلام- في مرافقة يوسف لهم، ومـرة فـي غيابة الجب، وقد قفز بنا حوار الشخصيات من مكان إلى آخر موضحا لها ومفـسرا سـلوكها الإنساني، وهو يناسب الأحداث وتسارعها ضمن ترتيب زمني دقيق يعجز عن تقليده البـشر، وإن كان من واقع حال البشر ومتصلا بحياتهم ولا ينفصل عنهم. دون الاعتماد على الـسرد المباشر أو الإفراط في الوصف الدقيق الذي قد يحد من تطور الأحداث وسرعتها.

اقتصر محور الحديث في العرض السابق علـى يوسـف -عليـه الـسلام- وعملـت الشخصيات المحيطة من الأب والأبناء على رسم هـذه صـورة يوسـف-عليـه الـسلام- الشخصية في أذهاننا دون أن تنطق، فكانت جملة واحدة نطق بها يوسف-عليه السلام-: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٤)، وبعد ذلك عمل الحوار فيما بين الشخصيات على رسم صورة يوسف-عليه السلام- بالبعد الاجتماعي، ثم تعود شخصية يعقوب-عليه السلام- بـالظهور ﴿ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٦٤)، ليعود و يذكر أبناءه بما فعلوه بيوسف -عليه السلام-، أي في استرجاع للأحداث تـدل مقولـة الأب علـى صبره، و على ما في نفسه من حسرة على يوسف-عليه الـسلام- وإنمـا صـبره وتوكلـه واحتسابه الأمر عند ا ، في حاجة أرادها يعقوب-عليه السلام- بذلك هو يعلم أبناءه الـصبر بصبره عليهم، وأمله با أن تتحسن أخلاق أبنائه بدعائه لهم وعدم يأسه منهم، يوافق الأب أن يرسل ابنه الثاني مع الإخوة معتمدا على مجموعة من القرائن منها:

١- توكله على ا ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٦٤).

٢- أخذ على أبنائه العهد مشهدا ا عليهم، قال-عليه السلام-: ﴿ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٦٦)، إن

يعقوب -عليه السلام- الأب المعلم يثبت بنظرية علمية حديثة في علم التربية والتعليم هي عدم إسقاط التجربة - الخبرة الأولى- على باقي الأمور- الخبرات والتجـارب- لأن لكـل منهـا ظروفها ومسبباتها، وبالتالي نتائجها، فهو بذلك يرفض فكرة التعميم، إلا أنه مـع ذلـك أخـذ بالأسباب، ووضع الشروط لضمان سلامة الظروف.

إن يعقوب -عليه السلام- كان مسلما يشهد له بذلك أبناؤه في قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٣٣)، وهذه الشخصية تميزت بمميـزات منها:

١- العلم، قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِى نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٦٨).

٢- التوكل على ا ، ظهرت هذه الصفة في أكثر من موقف منهـا: أن يعقـوب –عليـه السلام– أخذ موثقا من أبنائه أشهد ا تعالى عليه عنـدما: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ سورة يوسف ، آية : (٦٦).

وفي قول يعقوب –عليه الـسلام– عنـدما قـال: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سورة يوسف ، آية : (٦٧) ، ومن صور توكله -عليه السلام- على ربه أن قـال: ﴿ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٦٤).

٣- الإيمان بالقضاء والقدر، قـال تعـالى: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُواْ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ سورة

يوسف، آية: (٦٧)، يقول سيد قطب:" ونقف هنا أمام قول يعقوب -عليه السلام-:(إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ) وواضح من سياق القول أنه يعني هنا حكم ا القدري القهري الذي لا مفر منـه ولا فكـاك. وقضاؤه الإلهي الذي يجري به قدره فلا يملك الناس فيه لأنفسهم شيئاً، وهذا هو الإيمان بالقدر خيره وشره، وحكم ا القدري يمضي في الناس على غير إرادة منهم ولا اختيار، وإلى جانبه حكم ا الذي ينفذه الناس عن رضا منهم واختيار، وهو الحكم الشرعي المتمثل في الأوامـر والنواهي، وهذا كذلك لا يكون إلا ، شأنه شأن حكمه القدري، باختلاف واحد: هو أن الناس ينفذونه مختارين أو لا ينفذونه، فيترتب على هذا أو ذاك نتائجه وعواقبه في حياتهم في الـدنيا وفي جزائهم في الآخرة، ولكن الناس لا يكونون مسلمين حتى يختاروا حكم ا هذا وينفـذوه فعلاً راضين"[1].

٤- الصبر: تؤكد هذه السمة أكثر من موضع منها: عندما جاء الأبناء بخبر يوسف –عليه السلام– قال تعالى: ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءً يَبۡكُونَ ١٦ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ ١٧ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖۚ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨ ﴾ سورة يوسف، الآيات: (١٦-١٨)، وفي قولـه عز وجلّ يصف حال يعقوب -عليه السلام- بعد أن فقد ابنه الثاني: ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ٨٣ ﴾ سورة يوسف، آية: (٦٤)، و سئل رسول ا -صلى ا عليه وسلم- عن قوله: (فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ) فقال: "صـبر لا شـكوى فيه"[2]، الصبر الجميل هو: الصبر الذي لا يصحبه تسخط ولا جزع ولا شكوى للخلق.

---

[1] - في ظلال القرآن، ج٤، ص٣٣١، وانظر: تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٥٨٩، و الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي. تفسير الفخر الرازى، دار إحياء التراث العربى، ج١، ص ٢٥٣٦

[2] - انظر: تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٥٧٤

٥- الشكوى إلى ا تعالى وحـده: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٦٤).

٦- عدم الجدل والنقاش، وإنما اتخذ -عليه السلام- أسلوب الاعتزال في طريقة للتأديـب والتعليم، قال تعالى: ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سـورة يوسف، آية: (٨٤)، وعلى هذا الأساس نستنتج قاعدة مهمة في الحوار أنه: يلغى الحوار إذا لم يكن من ورائه فائدة ترجى، أو نتيجة يصل إليها المحاور، لأنه عند ذلك سيؤدي إلى نتيجة عكسية.

٧- عدم اليأس من رحمة ا ، يقول يعقوب -عليـه الـسلام-: ﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٨٧)، يقول سيد قطب:" تحسسوا بحواسكم، في لطف وبصر وصبر على البحث. ودون يأس من ا وفرجه ورحمته، وكلمة (روح) أدق دلالة وأكثر شفافية، ففيها ظل الاستروواح من الكـرب الخانق بما ينسم على الأرواح من روح ا "[1].

٨- الاستغفار: ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٩٨).

٩- حسن الاستماع: أخذ أكثر من صورة منها: حسن الاستماع لابنه الصغير وهو يقص عليه الحلم، وحسن استماعه -مع الصبر الجميل- على افتراء أبنائه وكـذبهم علـى يوسـف -عليه السلام-، إعطاء الثقة لأولاده في محاولة منه أن يعلمهم كيف يحافظوا علـى أخـيهم: ﴿ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ ﴾ سورة يوسف، آية:(٦٦)، وكذلك احتمال الأذى حيث وصفه أبناؤه بعدة صفات منهـا: ﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ سـورة يوسـف، آيـة: (٨)،

[1] - في ظلال القرآن، ج٤، ص ٣٣٩

و﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُا۟ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾﴾ ســـورة يوســـف، آية:(٨٥)، و﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٩٥).

الشخصية الإسلامية السادسة

يوسف -عليه السلام-

قال الرسول – صلى ا عليه وسلم- يصف يوسف -عليه السلام- : "الْكَرِيم ابن الْكَرِيمِ ابن الْكَرِيمِ ابن الْكَرِيمِ يوسفُ بن يعقُوب بن إِسحاقَ بن إِبراهِيم علَيهم السلاَم"[1]، ولُخصت حياة يوسف -عليه السلام- في سورة واحدة، وفي وحدة موضوعية متكاملة، قصة يوسف -عليه السلام- الذي ذكرها القرآن مرة واحدة في وحدة متكاملة من البداية حتى النهاية قصة كاملة في سورة واحدة عبر عنها القرآن بعدة ألفاظ: ﴿ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ ﴾ سورة يوسف، آية: (٣)، ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٧)، ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٠٢)، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ ﴾ سورة يوسف، آية: (١١١)، ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ سورة يوسف،آية: (١١١). تشمل واقع الحياة، و تصور ظروف الإنسان و أحواله اليومية ، من جلسة الطفل الصغير بين يدي والده يخبره عن حلم رآه في أثناء نومه قائلا : ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٤)، انتقل بنا الحوار من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية مجسدة بالأحلام، وهذا الحلم يبرز واضحاً في الأحداث، ويرسم الحوار معالم الحلم مابين كونه خيالاً إلى أن يصبح حقيقة، ففي آية (٤) الحلم الأول يروي يوسف لأبيه الحلم، ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ﴾ سورة يوسف ، آية: (٤)، ويتحقق الحلم في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٠٠)، الحلم الثاني: حلم صاحبي يوسف-عليه

[1] - انظر: ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. فتح الباري، تحقيق:عبد العزيز بن عبد ا بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الفكر، ج ٦، ص٤١٧، وسند الحديث: حدثَنَا إِسحاقُ بن منْصورٍ أَخْبرنَا عبد الصمدِ حدثَنَا عبد الرحمن بن عبدِ اللهِ عن أَبِيهِ عن ابن عمر رضِي الله عنْهما عن النبِي - صلى ا عليه وسلم- أَنه قَالَ:"الْكَرِيم ابن الْكَرِيمِ ابن الْكَرِيمِ ابن الْكَرِيمِ يوسفُ بن يعقُوب بن إِسحاقَ بن إِبراهِيم علَيهم السلاَم".

السلام– في السجن: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٣٦)، ويفسر يوسف –عليه السلام– الحلم قائلاً: ﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ ﴿٤١﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٤١)، ويتحقق تفسير الحلم. يثبته سياق القصة وأحداثها.

والحلم الثالث: حلم الملك: ﴿ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٤٣)، ويؤول يوسف الحلم قائلاً: ﴿ قَالَ تَزۡرَعُونَ سَبۡعَ سِنِينَ دَأَبٗا فَمَا حَصَدتُّمۡ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تَأۡكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ سَبۡعٞ شِدَادٞ يَأۡكُلۡنَ مَا قَدَّمۡتُمۡ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّا تُحۡصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَامٞ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعۡصِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة يوسف، الآيات: (٤٧- ٤٩).

و إذا تتبعنا الآيات نجد أن الحوار رسم الشخصيات بأبعادها الثلاثة على النحو الآتي:

أ. __البعد الخارجي__: ويشمل المظهر العام والسلوك الظاهري إذ إننا نجد يوسف -عليه السلام- على أبهى ما خلق ا قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٢)، ثم يؤكد ذلك قول نسوة المدينة: ﴿ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٣١)، جملة الوصف شكلت أمام المتلقي صورة، ثم قول النسوة الذي رسم الشخصية بدقة ودلّ عليها وقفة الوصف: (وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ)، وسمع الصوت الجماعي في هذا الحوار عندما عدل في الآية من الجمع إلى المفرد في: ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ ﴾ فهذه الإشاعة توحدت فيها، ومن أجلها مجموعة النسوة قولاً واحداً

لا مجال فيه لأكثر من رأي. ورسم الحوار المظهر العام لامرأة العزيز: عندما عرفوها بالإضافة: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٣٠)، وما قامت به من تهيئة نفسها وحركتها في: إحكام تغليق الأبواب .. ولقد همت .. واستبقا الباب .. وقدت قميصه ..

ب. **البعد الداخلي:** ويشمل الأحوال الفكرية والنفسية والسلوك الناتج عن الشخصيات، وهذا يظهر في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٤)، وفي مناجاة يوسف -عليه السلام- ربه في مونولوج داخلي: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٣٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٧٧)، ففي عبارة (أسرها في نفسه) كشف عن مكنون ما في داخل يوسف -عليه السلام - من حزن وألم مما فعله إخوته، وتتبع أحداث القصة تجد أن يوسف -عليه السلام- لم يتأثر بفعلة إخوته كثيرا عندما ألقوه في غيابة الجب وأرجع الأمر إلى الشيطان بقوله: ﴿مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ سورة يوسف، آية: (١٠٠)، و قد اتهم في شرفه من قبل امرأة العزيز، واكتفى بالدفاع عن نفسه قائلا:﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ﴾ سورة يوسف ، آية: (٢٦)، واختار لنفسه السجن دون أن يحمل في نفسه شيئا عندما قال: ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٢٢)، وعندما حان الوقت ليخرج من السجن اكتفى أن يظهر براءته بقوله: ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ سورة يوسف، آية: (٥٠)، ولكن عندما اتهمه إخوته ظلما

بأنه سرق فقد أسر في نفسه ما قالوه مظهرا حزنه وأسفه من ذلـك بقولـه: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٧٧).

ويظهر البعد الداخلي في قوله تعالى على لسان يعقوب -عليه السلام-: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَهُمۡ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغۡنِي عَنۡهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ إِلَّا حَاجَةٗ فِي نَفۡسِ يَعۡقُوبَ قَضَىٰهَاۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلۡمٖ لِّمَا عَلَّمۡنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ سورة يوسف، الآيتان: (٦٨ - ٦٩). وكذلك في قول يعقوب-عليه السلام -: ﴿ قَالَ بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَنِي بِهِمۡ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ ﴾[1] سورة يوسف، آية: (٨٣).

ج. <u>البعد الاجتماعي وظروف الشخصيات</u>: عند قراءة قصة أدبية فأنت مع بطل مثالي في سلوكه وجماله وقدرته وحظه كما هو الحال في قصص الفرسان في القرون الوسطى حيث تنقل القارئ إلى عالم مثالي تبحث عنه في الواقع فلا تجده. أما في قصة يوسف – عليه السلام - فأنت أمام بطل حقيقي وأنموذج واقعي وحقيقي يتعرض لمختلف الابتلاءات من ابتلاءات الشدة في رميه في البئر والانفعالات البشرية مع إخوته ومع امرأة العزيز ومع النسوة ومن ثم ابتلاءات السلطان: ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٥٥)، ومن خلال ذلك كله يخرج العبد الصالح نقياً خالصاً. ففي آية (٥) يؤكد يعقوب-عليه السلام-: ﴿ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٥﴾ ﴾ وأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق، قال تعالى: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ سورة

[1] - الصبر الجميل هو: الذي لا يصحبه تسخط ولا جزع ولا شكوى للخلق.

يوسف، آية: (١٠٠)، ولكن في حقيقة أمر امرأة العزيز أكدت الآيات على أن الفعل من النفس ولم ترد هذا الفعل إلى الشيطان: ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ **سورة يوسف، آية: (٥٣).** تؤكد الآية على حقيقة خلقية ودينية أن ما أرادته امرأة العزيز لم يكن من الشيطان، بل النفس الأمارة بالسوء، وهذا ليعلمنا ا عز وجلّ أن الإنسان محاسب على ما يعمل حتى ولو كان هذا الأمر من نزغ وتزيين الشيطان، فلا بد من تحكيم العقل وأي عقل مخافة ا في السر والعلن، ونرى هذا واضحاً في موقف يوسف -عليه السلام-: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٣)، ثم يعلن أن هذا الفعل من الظلم عندما قال: ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾، ثم قال مسرا في نفسه وهو يدعو ربه مخلصا في دعائه: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٣٣).

ويرسم الحوار أدق تفاصيل شخصيتي يوسف -عليه السلام- وامرأة العزيز في موقف عجيب: إن يوسف -عليه السلام- كان إنسانا يمتلك مشاعر إنسانية بحكم الطبيعة البشرية، فكانت لحظة إنسانية عندما بدأ المشهد: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٣)، إنه يتصرف بحكمة وقوة وذكاء: ﴿ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٣)، ونحن نجد في دلالة لفظة **ربي** مشتركاً لفظياً، فسواء أكان المقصود المعنى الخاص المتعارف زمن يوسف -عليه السلام- إن الرب هو: السيد، فلا أخونه بعد أن أكرمني واعتبرني ولداً له، أو المعنى العام أي أن ا - تبارك وتعالى- أحسن مثواي بعد ما لقيت من إخوتي، ثم يتأزم الموقف ويزداد الصراع حدة، والحركة تأخذ مكانها من الأحداث، وتأتي وقفة الوصف بين الأحداث تعزز الحوار وتثريه وتدفع بالمتلقي إلى إثارة كل حواسه وعواطفه ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٣)، همت هي من عزم وقصد وتصميم، **(وَهَمَّ بِهَا)** أي مالت

نفسه بمقتضى الطبيعة البشرية لحظة، ولكن دون الإقدام على فعل ذلك قطعياً، وهذا من الحفظ والرعاية الإلهية، وتثبت له العفَة والعصمة. إن همه -عليه السلام- امتنع لوجود البرهان عنده وهو حرصه على طاعة ا "و(**لولا**) لها الصدارة، وهي امتناع لوجود: امتنع الهم لوجود البرهان والجواب محذوف تقدم الدليل عليه، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَصۡبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتۡ لَتُبۡدِي بِهِۦ لَوۡلَآ أَن رَّبَطۡنَا عَلَىٰ قَلۡبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة القصص، آية: (١٠)، وامتنع إبداء أم موسى ما في نفسها على ابنها لوجود (ربطنا)على قلبها"[1]. يقول ابن عاشور:" فالتقدير: ولولا أن رأى برهان ربه لَهم بها، فقدم الجواب على شرطه للاهتمام به، ولم يقرن الجواب باللاّم التي يكثر اقتران جواب (**لولا**) بها لأنه ليس لازماً ولأنه لما قُدم على (**لولا**) كُره قرنه باللام قبل ذكر حرف الشرط، فيحسن الوقف على قوله: (**ولقد همت به**) ليظهر معنى الابتداء بجملة (**وهم بها**) واضحاً. وبذلك يظهر أن يوسف -عليه السلام- لم يخالطه هم بامرأة العزيز لأن ا عصمه من الهم بالمعصية بما أراه من البرهان. قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة فلما أتيت على قوله: (**ولقد همت به وهم بها**) الآية قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير، أي تقديم الجواب وتأخير الشرط، كأنه قال: ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لَهم بها"[2].

وتعدد الوقفات الوصفية تعزز المشهد تبعثه الحياة والحركة وتختصر الوقت وتنقل المتلقي على مسرح الأحداث: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٥)، يوسف -عليه السلام- يريد الهرب والنجاة، وامرأة العزيز تريده قد شغفها حباً. نشأ وترعرع بين يديها وتحت ناظريها حيث اجتمع فيه تمام الكمال من الصفات خَلقية وخُلقية، ويوسف -عليه السلام- يريد الباب ويهرب من امرأة أجمع المفسرون على أنها آية من الجمال، أضف إلى ذلك البعد النفسي حيث أن يوسف -عليه السلام- الذي فقد الحنان والعطف والأخوة والأسرة حتى قميصه جرد منه، عوضه ا بأسرة أكرمت مثواه" فالمقصود بإكرام مثواه إكرامه ولكن التعبير أعمق، لأنه جعل

---

[1] - النجار، عبد الوهاب. قصص الأنبياء(لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب)، مطبعة النصر، مصر، ط٢، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م، ص١٥٩-١٦٠

[2] - التحرير والتنوير، ج٧، ص ٣٣٢، وانظر: تفسير ابن كثير، ج٢، ص ٥٧٧

الإكرام لا لشخصه فحسب، ولكن لمكان إقامته وهي مبالغة في الإكرام"[1]. نظروا إليه على أنه ولد لهم أي أنه وجد العطف والحنان والرعاية والحب مع عائلة لا تربطه بهم قرابة الدم سوى أنهم أحبوا يوسف -عليه السلام- منذ أن اشتروه وتأملوا به خيراً، تقول فوز نزال: "ومن المواطن التي غيب المنادي فيها أداة النداء ما جاء في قول العزيز ليوسف -عليه السلام- وقد ظهرت براءته ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٩)، وفي هذا الحذف تجسيم لموقف العزيز من يوسف، فقد اقترب منه ملاطفا هامسا له "[2] وفي حذف أداة النداء تقرب أكثر من العزيز ليوسف و دلالة على عظم العلاقة التي تجمع بينهما . لكن هذا في كفّة واتقاء غضب ا -عز وجلّ- في كفة أخرى التزاماً بحدود الدين والخلق الذي أمره ا ، هنا يأتي التأرجح بين الضعف النفسي والقوة الروحية، وهذا ما أقرته الآية الكريمة ﴿ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٤)، ويؤكد هذه الحقيقة سياق الآيات من: قول امرأة العزيز: ﴿ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونٗا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٣٢)، ثم قول النسوة حيث رسمن الشكل الخارجي لهذه الشخصية بدقة: ﴿ فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٣١)، ودال عليه وقفة الوصف: (**وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ**)، تبدأ بإشاعة تتحد فيها نساء المدينة: ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٣١)، فهذه الإشاعة توحدت فيها ومن أجلها مجموعة النسوة قولاً واحداً لا مجال فيه لأكثر من رأي، ويبرز الصوت الجماعي في هذا الحوار عندما عدل في الآية من الجمع إلى المفرد في: ﴿ وَقَالَ نِسۡوَةٞ ﴾ وتقدير الكلام: (وقلن) ولكن سبحانه عدل عن الجمع (قلن) إلى الفرد (قال) رجل واحد يؤكدن الإشاعة، "أن النسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقي

[1] - قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار، ص ٤٩٦-٤٩٨

[2] - لغة الحوار في القرآن الكريم، ص ١٨٦

فاذاك لم يلحق فعله تاء التأنيث .. تقديم الفعل يدعو إلى إسقاط علامة التأنيث على قياس إسقاط علامة التثنية والجمع"[1].

ورسم الحوار المظهر العام لامرأة العزيز: عندما عرفوها بالإضافة في قولهن: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ سورة يوسف، آيـة: (٣٠)، فهـن بـذلك يـصفن الحالـة الاجتماعية لهذه المرأة إنها ليست امرأة عادية من عامة الشعب، لا بل هـي: ﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ﴾ وهذا بدوره يؤكد مكانة العزيز بين قومه. قال ابن قيم الجوزية:" هذا كلام متضمن لوجه مـن المكر: إحداها: قولهن :﴿ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ﴾ ولم يسموها باسـمها بـل ذكروهـا بالوصف الذي ينادى عليها بقبيح فعلها، بكونها ذات بعل فصدور الفاحشة من ذات الزوج أقبح من صدورها ممن لا زوج لها.

الثاني: أن زوجها عزيز مصر، ورئيسها وكبيرها وذلك أقبح لوقوع الفاحشة منها.

الثالث: أن الذي تراوده مملوك لا حر وذلك أبلغ في القبح.

الرابع: إنه فتاها الذي تراوده هو في بيتها، وتحت كنفها فحكمه حكم أهل البيت بخلاف من تطلب ذلك من الأجنبي البعيد.

الخامس: إنها هي المراودة المطالبة.

السادس: أنها قد بلغ بها عشقها له كل مبلغ حتى وصل حبها له إلى شغاف قلبها.

السابع: أنه في ضمن هذا:أنه أعف منها وأبر وأوفى حيث كانت هي المراودة الطالبة وهو الممتنع عفافا(كرما) وحياء وهذا غاية الذم لها.

الثامن: أنهن أتين بفعل المراودة بصيغة المستقبل الدالة على الاستمرار الوقوع حالا واستقبالا، وأن هذا شأنها.

---

[1] - تفسير الرازي، ج١، ص ٢٥١٣

التاسع: قولهن (**إنا لنراها في ضلال مبين**)، أي: إنا لنستقبح منها ذلك غاية الاستقباح (فنسبن الاستقباح إليها).

العاشر: أنهن أجمعن لها في هذا الكلام اللوم بين العشق المفرط والطلب المفرط، فلم تقتصد في حبها ولا في طلبها، أما في العشق فقولهن: (قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا) أي: وصل حبه إلى شغاف قلبها، وأما الطلب المفرط فقولهن (تُرَاوِدُ فَتَاهَا)، والمراودة: الطلب مرة بعد مرة، فنسبوها إلى شدة العشق، وشدة الحرص على الفاحشة، فلما سمعت بهذا المكر هيأت لهن مكرا أبلغ منه، لأنها قابلت مكرهن القولي بهذا المكر الفعلي ففي هذا إيجاز محكم وغزارة في المعنى"[1].

ومن الأمور التي ساعدت في رسم صورة امرأة العزيز ما قامت به من تهيئة نفسها، وحركتها في إحكام تغليق الأبواب.. ولقد همت .. واستبقا الباب... وقدت قميصه ..

وللإمام الفخر الرازي كلمة قديمة أوردها في تفسيره قائلا: "إن يوسف قد شهد ا تعالى ببراءته بقوله: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ سورة ص، الآيتان: **(٨٢-٨٣)**، وشهد شاهد من أهل امرأة العزيز ببراءته: "﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٧)، وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن أيديهن ﴿ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ﴾ سورة يوسف، آية: (٥١)، وشهدت ببراءته امرأة العزيز بقولها: ﴿ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ سورة يوسف، الآية: (٥٣)، فمن أراد أن يتهم يوسف بالهم عليه أن يختار أن يكون من حزب ا أو حزب الشيطان وكلاهما شهد ببراءته"[2].

---

[1]- صفوة التفاسير، المجلد الثالث، ص ٤٠٥-٤٠٦، وشغاف القلب هو غلافه، والشَغَف الحب القاتل، والشغف دون ذلك، والشغاف: حجاب القلب، انظر: تفسير ابن كثير، ج٢ ،ص٥٨٠- ٥٨١ ، وتفسير الرازي، ج١، ص ٢٥١٣-٢٥٣٧

[2]- صفوة التفاسير، ج٣، ص ٤٠٥- ٤٠٦

وهكذا تتوالى الأحداث لتكون الشخصية الرئيسة هـي شخـصية يوسـف -عليـه السلام- تدور حولها الأحداث، ويعمل الحوار على رسم الشخصية بأدق تفاصيلها، وتعـدد المشاهد على اختلاف الأماكن، فمن غيابة الجب، إلى السوق، ثم العزيز وقصره، لتقذف به إلى السجن، ومن ثم إلى بلاط الملك، وصولا به إلى أن يستلم منصبا مهما ﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ۝٥٥ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٥٦ ﴾ سورة يوسف، الآيتان: (٥٥-٥٦) .

وشكّل الحوار الصورة الرئيسة من صور الأسلوب التعبيري في السورة، وكان أكثـر حيوية، وتخلّله بعض الوقفات الوصفية مما أغنى الحوار وأثـراه، فكـان الوصـف هـو المسؤول المباشر عن تقديم الأفق الفضائي للقصة، الذي يشمل الأشـخاص والموجـودات والأمة والحالات والمواقف المتقاطعة في المكان، وللعملية الوصفية أثرها وبعدها التّـأملي الخاص الذي يمكن أن يزود بدلالات عميقة تتناسب وتوظيف المقطع الوصفي، وهذا كلـه ضمن وقفات قصيرة لم تؤثر على حوار المتحاورين أو اختصاره بشكل مبتور، بل علـى العكس كان له دوره الذي أثرى الحوار، وأضاف إضافات جديدة في محلها أغنـت بتلـك اللحظة عن الحوار.

صفات شخصية يوسف – عليه السلام –:

إن يوسف -عليه السلام- كان مسلما يشهد له بذلك: وصية إبراهيم ويعقوب –عليه السلام– في قوله تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٣٢)، وفي قوله تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٣٣).

١- التقوى والصبر، قال تعالى على لسان يوسف -عليه السلام-: ﴿ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٩٠).

٢- العفة التي أخذت عدة صور منها:

أ- الاستعاذة بالله: ﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (23).

ب- الإعراض عن الفاحشة: ﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (29).

ج - الاستعصام وهو: بذل قصارى الجهد في مقاومة الهوى والنفس، تشهد له امرأة العزيز بقولها: ﴿ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٣٢).

د – الدعاء وطلب العفة من الله تعالى، وهذا ما فعله يوسف –عليه السلام–: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة يوسف، الآيتان: (٢٣-٢٤).

٣– الإحسان، قال الله تعالى يصف يوسف-عليه السلام-: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٢)، وشهد له بالإحسان من دخل السجن معه: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٢)، وقوله عز وجلّ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٥٦)، وشهد له إخوته بقولهم: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبٗا شَيۡخٗا كَبِيرٗا فَخُذۡ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٧٨) .

٤– العفو عند المقدرة، فقد سامح يوسف -عليه السلام- إخوته، وعفا عن امرأة العزيز -حيث اكتفى بظهور براءته-، وعفا عن صاحبه في السجن، وكان العفو أن أخذ عدة درجات منها:

أ- ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ ﴾ سورة يوسف، آية: (٩٢)،" أي: لا تأنيب عليكم، ولا عتب عليكم اليوم، ولا أعيد عليكم ذنبكم في حقي بعد اليوم"[1].

[1] - تفسير ابن كثير. ج٢، ص ٥٩٥ ، و الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. كتاب العين، تحقيق: د.مهدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٨، ص٢٢٢، وفيه معنى التثريب: "أي لا لوم عليكم والتثريب: الإفساد والتثريب بالذنب لا أثرب عليك".

ب - الدعاء لإخوته بالمغفرة. قال ا تعالى على لسان يوسـف –عليـه الـسلام– :

﴿ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٩٢).

ج – رد تصرف إخوته إلى أنه **نـزغ**[1] من فعل الشيطان، وهذا في قمة الأدب والروعة منه - عليه السلام-، وهو بهذا الفعل يملك قلوب إخوته، قال ا عز وجـلّ: ﴿ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٠٠).

د- المعاتبة دون تجريح، فقد ذم -عليه السلام- سلوك إخوته وتصرفهم ولم يذمهم أو يجرحهم بقوله: ﴿ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٨٩).

هـ - كظم الغيظ، فعندما اتهمه إخوته بالسرقة أسر هذا الافتراء في نفسه: ﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٧٧).

٥- الفِراسة وهي:" بالكسر وفي الحديث: (اتقُوا فِراسة المؤمن) قال ابن الأثير: يقـال بمعنيين: أحدهما: ما دل ظاهر الحديث عليه، وهو ما يوقعه الله تعالى في قلـوب أوليائـه فيعلمون أحوال بعض الناس بنَوع من الكرامات، وإصابة الظن والحدس، والثـاني: نَـوع يتَعلَم بالدلائل والتجارب والخَلْق والأخْلاق فتُعرف به أحوال الناس، وللناس فيه تـصانيف كثيرة قديمة"[2]، وقد فتح ا على يوسف -عليه السلام- في هذا أبواب أخذت أشكالا منهـا العلم العام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ ﴾ سورة يوسف، آيـة: (٢٢)، ومنها تأويل الأحاديـث: ﴿ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ ﴾ سورة يوسف، آية:

[1] - جاء في لسان العرب: "(نزغ) النزغُ: أَن تَنْزِغَ بين قوم فتَحمِلَ بعضهم على بعض بفسادٍ بينهم، ونَـزغَ بينهم ينْزِغُ و ينْزِغُ نَزغاً: أَغْرى وأَفْسد وحمل بعضهم على بعض، والنزغُ الكلام الذي يغْـري بـين النـاس ونَزغَه حركه أَدنى حركة، **ونزغ الشيطان بينهم** ينزغُ و ينزغُ نَزغاً: أَي أَفسد وأَغرى". لسان العرب . ج٨ ، ص ٤٥٤

[2] - لسان العرب، ج٦، ص١٥٩

(٢٢)، ومنها الفراسة حيث عرف إخوته ولم يعرفوه: ﴿ وَجَآءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٥٨)، ومنها علمه - بإذن ا - علاج أبيه حيث فـسره بعض العلماء على أنه معجزة، ومنهم من فسرها على أنها حالة نفسية أصـابت يعقـوب -عليه السلام[1]- قال تعالى على لسان يوسف -عليه السلام-: ﴿ ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٩٣).

٦- من المخلصين[2]: قال تعالى في حقّ يوسف -عليه السلام-: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٤).

٧- أخذ دور الداعية، فقد عمل على الدعوة إلى عبادة ا وحده حتـى فـي أصـعب الظروف، وهو في السجن أخذ يعلمهم قائلا: ﴿ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٢).

---

[1] - انظر: تفسير ابن كثير، ج ٢، ص ٥٩٥- ٥٩٦

[2] - " وقرئ إلا عبادك منهم المخْلِصين والمخْلَصِين. قال ثعلب يعني بالمخْلِصين: الذين أَخْلَصوا العبادة للّـه تعالى، وبالمخْلَصِين: الذين أَخْلَصهم اللّه عز وجلّ . . ولذلك قيل لسورة قل هو اللّه أَحد سورة الإِخلاص. قال ابن الأَثير: سميت بذلك لأَنها خالصة في صفة اللّه تعالى وتقدس، ولأَن اللافظ بها قد أَخْلَص التوحيد للّه عـز وجلّ، وكلمة الإِخلاص كلمة التوحيد، وقوله تعالى من عبادنا المخْلَصِين، وقرئ المخْلِـصين، فالمخْلَـصون المخْتارون، والمخْلِصون: الموحدون". لسان العرب، ج٧، ص٢٦

٨- الصدق: ففي أكثر من موقف شهد له بأنه صادق منها:

الموقف الأول: في قضية امـرأة العزيـز: ﴿ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨) ﴾ سـورة يوسف، الآيتان: (٢٧-٢٨).

الموقف الثاني: في قول من نجا من السجن: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ ﴾ سورة يوسف، آية: (٤٦).

الموقف الثالث: شهادة امرأة العزيز بـصدقه: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ ۚ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ ۚ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (٥١) ﴾ سورة يوسف، آية: (٥١).

٩- التواضع في قول يوسف -عليه السلام -: ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي ۚ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٥٣) ﴾ سورة يوسف، آية: (٥٣)، فقد أرجع الأمر إلى رحمة ا ومغفرته متناسيا الجهاد الذي بذله في هذا الأمر.

١٠- حسن الظن با تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (١٠٠) ﴾ سورة يوسف ، آية : (١٠٠)

إذ إن واقع الحال أن يبدأ عليه السلام بالتذمر والشكوى عندما يرى أباه، ويبدأ بـسرد معاناته وماذا فعل إخوته، وامرأة العزيز، وما فعل الزمن به، إلا أنه عليـه الـسلام قفـز

بحكمته عن كل ذلك ذاكرا فضل ا تعالى عليه: ﴿ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٠٠).

١١- شكر ا تعالى على فضله ونعمته، وقد استخدم يوسف -عليه السلام- أسـلوب تعداد النعم من باب الشكر عليها حين دعا ربه قـائلا: ﴿ رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ١٠١ ﴾ سورة يوسف، آية: (١٠١).

الشخصية الإسلامية السابعة

موسى - عليه السلام -

في شخصية موسى –عليه السلام– أخذ الحوار عدة جوانب، فهو كليم الله اختصه سبحانه وتعالى بكلامه، ومن ثم تتعدد حوارات موسى –عليه السلام– مع الأخ هارون، ومع المعلم الخضر، ومع العدو فرعون، ومع صاحب العمل الرجل الصالح، ومع الفتاتين، ومع الند وهم السحرة قبل الإيمان، ومع بني إسرائيل، ومع السامري، وفي هذا البحث يتم عرض كلام رب العزة مع موسى–عليه السلام–، وحوار موسى –عليه السلام– مع فرعون.

أ- كلام الله تعالى مع موسى -عليه السلام– قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ (١٦٤)﴾ سورة النساء، آية: (١٦٤)، وموسى –عليه السلام– هو الرسول الوحيد الذي كلمه الله تعالى تكليما، وإن دارت بعض الشبهات حول ذلك من مثل ما ادعاه بعض المعتزلة، وقد عرض صاحب البرهان لذلك قائلا: " فإنه لما أريد كلام الله نفسه قال: (**تَكْلِيماً**) ودل على وقوع الفعل حقيقة، أما تأكيد فاعله فلم يتعرض له، ولقد سخف عقل من تأوله على أنه كلمة بأظفار المحن من الكَلْم[1]وهو الجرح لأن الآية مسوقة في بيان الوحي، ويحكى أنه استدل بعض علماء السنة على بعض المعتزلة في إثبات التكليم حقيقة بالآية من جهة أن المجاز لا يؤكد، فسلم المعتزلي له هذه القاعدة، وأراد دفع الاستدلال من جهة أخرى، فادعى أن اللفظ إنما هو ﴿وَكَلَّمَ اللهَ مُوسَىٰ﴾ بنصب لفظ الجلالة، وجعل موسى فاعلا بـ كلم، وأنكر القراءة المشهورة، فقال السني: فماذا تصنع بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ سورة الأعرف، آية: (١٤٣)،فانقطع المعتزلي

---

[1] - الكَلْم، وهو الجرح؛ والكِلام: الجراحات، وجمع الكَلْم كلوم أيضاً. مقاييس اللغة ابن فارس، ج ٥، ص ١٠٧

عند ذلك"[1]. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ سورة البقرة، آية: (٢٥٣)، وقد تكرر مشهد تكليم ا لموسى -عليه السلام- في سورة طه من آية (١٠-٤٨)، وفي سورة النمل قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾﴾ سورة النمل، الآيات: (٧ - ١٢)، وفي سورة القصص يتكرر المشهد بقوله تعالى: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا

---

[1] - الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد ا الزركشي أبو عبد ا . البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩١م، ج ٢، ص ٣٩٣، و" قوله : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ﴾ سورة النساء، آية: (١٦٤)، وهذا تشريف لموسى عليه السلام بهذه الصفة ولهذا يقال له: الكليم" انظر: تفسير القرآن العظيم ابن كثير، ج ١، ص ٧٧٨

سُلۡطَٰنٗا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيۡكُمَاۚ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة القصص ، الآيات: (٢٩ -٣٥)، وكانت هذه الجمل الحوارية تدور في المحاور الآتية:

١- مشاهدة النار ومكانها.

٢- تحول من الوصف إلى الحوار المباشر:﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ سورة القصص ، آية : (٣٠) ، وفيها تأكيد اصطفاء ا لموسى- عليه السلام- برسالته وكلامه.

٣- أمره ا أن يرمي عصاه فتحولت إلى ثعبان يتحرك وأن يضع يده في جيبه فتحولت بيضاء من غير سوء.

٤- تكليف موسى -عليه السلام- بالرسالة : ﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة طه ، آية : (٢٤) .

٥- ذكر الرجل الذي قتله موسى بالخطأ.

٦- طلب أن يكون أخوه هارون معه.

٧- تأكيد الحوار مع الخصم وعدم اليأس منه ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة طه، آية: (٤٤).

ب - حوار موسى -عليه السلام- مع فرعون: الذي أخذ شكلا مختلفا عن الحوارات السابقة التي تعرضت لها، مع أنها تبحث في العقيدة وتدور حولها، إلا إننا نجد فرعون يدعى الإلوهية، وإنه إله ورب للناس متكبراً متجبراً ظالماً في الأرض، وموسى -عليه السلام- في غاية الحق والإيمان من جهة رسالته، فإن ا -عز وجلّ- كلمه تكليماً، ولم يجعل سبحانه بينه وبين موسى -عليه السلام- وساطة من خلقه، ولم يكن للرسل من التكليم ما كان لموسى- عليه السلام-.

لقد كان أثر الحوار واضحاً في إحياء المشاهد التي ضمت الأحداث، وفي إقرار التأثير بالكلمة، إننا في هذا الحوار نتلقى الكلمات من فم أصحابها حية، نابضة بالمشاعر والأحاسيس فلا نسمع الكلمات حتى نجد صاحبها معها ينطق بها محملة بخلجاته، ونبرات صوته، وما انطبع على وجهه من آثار. ولا بد من وقفة هنا مع هذا الإعجاز المبين الذي يتحدى قدرة

البشر في كل ما أوتوا من وسائل الإبانة والتصوير، فهذا الحوار بين ا - تعـالى- وعبـده موسى- عليه السلام- بداية الحوار تظهر الزمن عندما قال موسى -عليه السلام-: ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾ سورة القصص، آية: (٢٩). حيث حدد الزمن، ويؤكد ذلك: (إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا)، ثم يتعين إظهار المكان الذي يتحول مـن الوادي المقدس في طور سيناء، إلى قصر فرعون في مصر، في قفزة ولا أروع أو أسـرع، ويتحول الحوار من تلقي الرسالة من رب العزة إلى مجادلة الخصم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾﴾ سورة الشعراء، الآيـات: (١٠-١٩)، وتنتقل من طور سيناء إلى مجالس فرعون في مصر و موسى -عليه السلام- يتلقى هذا الجواب على لسان فرعون (قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ) يلخص فـي هـذا الحوار قصة موسى منذ كان رضيعاً، إلى أن أصبح شاباً، إلى أن فر بسبب قتل رجل مـنهم دون قصد، إلى أن عاد مرة ثانية إلى فرعون. يقول عبد الكريم الخطيب:" أنت ترى أثر هـذا الحضور الفوري المفاجئ الذي ينقلك من موقف إلى موقف آخر في لمحة خاطفة ، وتطـوي أبعاد الزمان والمكان دون أن يفتقد المرء مكانها"[1]. وأنت تنتقل إلى مسرح الحادثـة، وأنـت تسمع وترى كل ما وقع وما جرى في هذا الموقف، كأنك واحد ممن حضروا أو شاركوا فيه، وكيف أراد فرعون أن يفاجئ موسى -عليه السلام- بهذه الفعلة التي كانت منـه يـوم قتـل المصري، وذلك ليدخل في روعه الخوف، وأنها لم تنس، وبهذا يشغل موسى عما جاء به[2].

[1] - القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، ص ١٣٠-١٣٤
[2] - المرجع السابق، ص١٣٠-١٣٤

ثم انظر كيف كان جواب موسى؟ إنه لم ينكر الفعلة، ولكن أنكر دوافعها، وانظـر كيـف تنطلق الكلمات في هذا الحوار متلاحقة متدفقة، كأنها السهام. يتراشقها المحاربون في ميـدان القتال"[1].

ولعلك تلحظ أن الحوار بدأ مناوشة وتحرشاً، فتجد في كلماته تثاقلاً، كما تجد في أسـلوبه امتداداً وطولاً، ثم بعد أن يشتد الصراع ويتوهج تجيء كلمات الحوار قوية متقطعة، تجري في خفة واندفاع وتراشق أشبه بالرمي بالسهام.

- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ: وَمَا رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ ؟

- قَالَ : رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾.

- قَالَ : لمن حوله: أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ ؟

- قَالَ : رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ .

- قَالَ : إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ .

- قَالَ : رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ .

- قَالَ : لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ .

- قَالَ : أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ؟

- قَالَ : فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٣١﴾.

[1] - القصص القرآني في مفهومه ومنطوقه، ص ١٣٥

- ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآيات: (٢٣ – ٣٣).

"إنها كلمات بل هي سهام تنطلق من أقواسها بلا توقف، فهذا العرض السريع، وهذه الحركة التي بدأ بها الموقف هو تصوير صادق ودقيق لسير الانفعالات المتولدة في الحوار ونموها، حتى بلغت غايتها، وامتلأت بها الصدور، وانطلقت في قوة واندفاع"[1].

ويشتد الصراع ويحتدم، ونحن نلحظ الحوار القائم لا يتخلله السرد أو الوصف إلا بمقدار ما يخدم فيه الحوار بلاغة وإبداعاً في نظم القرآن.

حوار سريع لا يقطعه إلا وقفة وصفية في نهاية الحوار في قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة الشعراء، الآيتان: (٣٢– ٣٣).

وفي سورة القصص: يقول فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ سورة القصص، آية: (٣٨) حيث أمر فرعون وزيره أن يبني له بناء عالياً ليصعد عليه، حتى يرى إله موسى حسب تصوره متعالياً ومستهزئا ومستخفاً بموسى ورسالته. وإذا لاحظنا أن أسلوب النص الذي تحدث به القرآن الكريم فعلاً على لسان فرعون لوجدناه نم عن دقة في التفصيل، فلو أن المتحدث إنسان، فقد يقدم أو يؤخر في تسلسل صناعة الطابوق، حيث إيقاد النار على الطين حتى يجف، ثم بعده ينتقل ليتم بناء الصرح المتدرج العالي كي يكون في النهاية بناء عظيماً، ففي الحوار الترتيب المنطقي للكلمات اختصر الحوار عملية البناء كاملة، وجسد المبنى بأقل من واحد وثلاثين حرفاً أي: ثماني كلمات. يقول الزمخشري إنما قال: (فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ) أي: أوقد لي النار، فاتخذ منه أجراً ولم يقل **(اطبخ لي الآجر)**؛ لأن هذه العبارة أحسن طباقاً لفصاحة القرآن، وعلو طبقته، وأشبه بكلام الجبابرة، وهامان وزيره

[1] - القصص القرآني، ص١٣٠-١٣٤

ومدبر رعيته"[1]. والآية لم تدل على نوع الصرح وإنما دلت أن الصرح من الطين فقد يكـون الصرح من آجر أو حديد أو نحاس أو غير ذلك .

وترى الدراسة أن تفسير الزمخشري للآية حسب الفصاحة والبلاغة، وهذا ما كان له، ولكن إذا ناقشت الدراسة تفسير الآية على أساس الإعجاز القرآني في نظمه ترى أن ا تعالى اختار كلمة الطين دليلاً على ألوهيته تعالى وقدرته وإعجازه، إذ إننا نجد أن فرعون قد ادعى أنه رب قائلاً: ﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ ﴾ سورة النازعات، آية: (٢٤)، **وتظهر الآية ادعاء فرعون الربوبية وأنه ربهم الأعلى،** ثم قال لقومه مخاطباً: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾ سورة القصص، آية: (٣٨)، فكيف يكون إلهاً، وعندما أراد أن يري قومه إبداعاته وعظمته صنع من الطين صرحاً، وقد كلف وزيره بهذا العمل، ووزيره كلف عماله وعبيده وهكذا .. أهذا يكون إلهاً؟

ونحن نعلم أن ا خلق الإنسان من طين فسواه ونفخ فيه من روحه، فكان بشراً سجدت له الملائكة دلالة على عظمة خلق الخالق وحسن خلقه.

لم يكلف الملائكة شيئاً من مساعدة أو معاونه أو .. سبحان ا عما يصفون وأنت تلحظ الحوار والخطاب من فرعون لوزيره دلالة ضعف وعجز من فرعون، فقامت الحجة عليه إذ ادعى أنه إله فانظر إلى الطين نفسه.

فرعون صنع من الطين طابوقاً؟

والخالق تعالى الذي خلق من الطين بشراً، فسواه في أحسن تقويم، فسبحان ا أحسن الخالقين.

[1] - الزمخشري، أبو القاسم جار ا محمود بن عمرو. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ٤١٧-٤١٩

الشخصية الإسلامية الثامنة

سليمان– عليه السلام –

في هذا الجزء نتعرض لنوع آخر من الحوار حيث أخذ صورتين مختلفتين عن المعهود الصورة الأولى: حوار الملك، والصورة الثانية: الحوار مع من هو ليس من جنس البشر، يقول سيد قطب: " قد سار الموكب. موكب سليمان من الجن والإنس والطير، في ترتيب ونظام، يجمع آخره على أوله، وتضم صفوفه، وتتلاءم خطاه. حتى إذا أتوا على واد كثير النمل. حتى لقد أضافه التعبير إلى النمل فسماه (وادي النمل) قالت نملة[1]": ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨﴾ سورة النمل، آية:(١٨)، ومما يثير العجب والدهشة أن سورة كاملة سميت باسم النمل ولم تُذكر في السورة إلا ثلاث مرات في آية واحدة مرّة مفردة (قَالَتۡ نَمۡلَةٞ) ومرّتين جمع: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ) في الآية نفسها.

وما يلفت ويثير التفكير هو رد سليمان -عليه السلام-: ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾ سورة النمل، الآيتان: (١٨-١٩)، معقباً على قول النملة، بينما عندما طلب من جنوده إحضار عرش الملكة بلقيس من اليمن إلى فلسطين فرد عليه العفريت: ﴿قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩﴾ سورة النمل، آية: (٣٩)، فأراد أسرع من ذلك، فأجابه الذي عنده علم الكتاب قائلاً: ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ ٤٠﴾ سورة النمل ، آية: (٤٠)، ونحن هنا أمام موقفين لسليمان –عليه السلام– هما:

[1] - في ظلال القرآن، ج ٥، ص٣٧٧

الموقف الأول: بعد سماع قول النملة، والموقف الثاني: بعد أن رأى عرش بلقيس مستقّراً عنده قبل أن يرتد إليه طرفه أي جزء من الثانية، وعند الآيتين ربما كان السر اختيار سليمان بأن يلهمه ا ويقدره ويوفقه على حسن الشكر بعد سماعه. ولكن ما السر في قولها الذي أثار سليمان -عليه السلام- ﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ سـورة النمـل، آيـة: (١٩)، أثبتت الآية أن للنمل روحاً جماعية، فلم تفكر النملة في إنقاذ نفسها على نحوٍ أناني، بل حذّرت أصحابها من سليمان -عليه السلام- وجنوده، مما يدل على روح الجماعة والتعاون في عـالم النمل، ودلت الآية على أن هذا الكائن الصغير قادر على أن يتقن كل من اللغات الآتية: لغـة الإشارة ولغة خاصة بين النمل لا نعلمها استطاع سليمان-عليه الـسلام- أن يفهمهـا، ولغـة كيميائية بين النمل تمكنه من التواصل من خلال تمييز الرائحة بدقة. وعندما تمكن سـليمان -عليه السلام- من فهم كلام النملة الموجز على شكل برقية تذكر دعاءه ربه عندما قال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ سورة ص، آية: (٣٥)، فأخذ يـشكر ا في أحسن صورة من الشكر والثناء على النعمة.

ومن ثم تظهر لنا الصورتان معا: صورة الملك وحواره مع الهدهد في هذا المشهد: يبـدأ بقول سليمان –عليه السلام– مخاطبا رعيته وموكبه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ﴾ سورة النمل، آيـة: (١٦)، بفعل يبدأ المشهد: ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ **سورة** النمـل، آيـة: (٢٠) (فلم يجده)، وباستفهام يتجسد المشهد الحواري الذي حقق الحوار القرآني حضورا في العرض يجعل من المشهد صورة مسموعة ومرئية:

- سليمان –عليه السلام– "مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ " **؟**

ثم يكمل: **-** " أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ "**؟**

(أم) منقطعة بمعنى **(بل)**أي: هو غائب .. .ونتيجة غيابه دون عذر يأتي حكم الملك:

١ – ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا ﴾ سورة النمل، آية: (٢١)

٢_ ﴿أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ﴾

٣- ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾﴾ سورة النمل، آية: (٢١)، أي: أن على الهدهد أن يـأتي بحجـة واضحة تبين عذره، ويشكل لجنة من المحامين للدفاع عنه حيث صدر الحكـم بالـذبح، وإذا خفف بالتقطيع، والخروج من هذا البلاء أن يأتي (بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ)، ينقطع الحوار بوقفة وصفية تختصر الزمن: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ ﴾، ويبدأ المتهم بالدفاع عن نفسه مصدرا قوله بالفعـل المضارع قال الهدهد مخاطبا سليمان-عليه السلام-:﴿ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾﴾ سورة النمل، آيـة: (٢٢).انظر إلى طريقة الحوار التي نجا بها الهدهد من إيقاع العقوبـة عليه:

١- خاطب سليمان محاورا من الجانب العقلي الإنساني من خلال عرض الحقيقة قائلا: (أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ)، و(وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ) سورة النمل، آية: (٢٢).

٢- إثارة غريزة سليمان -عليه السلام- وهو ذكر ونبي وملك، مثيرا حب استطلاعه للوصول إلى المعرفة والحقيقة من خلال غرائزه مستكملا كلامـه: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ سورة النمل، آيـة: (٢٣)، تسمى بلقيس هي ملكة لهم، إثارة غريـزة الرجولة بالنسبة لسليمان-عليه السلام- من حيث أنه ملك وهي ملكة، ومن ثم إثـارة غريـزة الملك، فقد آتاها ا الملك ﴿تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ سورة النمـل، آيـة: (٢٣)، وهو الملك الذي سخر ا له الإنس والجن فهم يوزعون، وقد دعا ا أن يؤتيه ملكـا لا ينبغي لأحد من بعده. وأخيرا إثارة غريزة النبوة لدى سليمان-عليه السلام-، فهو نبي زمانه ومع ذلك فهناك من لا يؤمن بدعوته، ويصف الهدهد حالها وقومهـا قـائلا:﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ سورة النمل، آية: (٢٤).

هكذا أثار الهدهد مشاعر سليمان-عليه السلام- وهو يحاوره وأثار انفعالاته وشد انتباهـه، وشحذ تفكيره، معللا اختفاءه ،مثيرا لفطرة سليمان، وتذكيرا له بواجبه الـديني، فهـو بـذلك يضرب على الوتر الحساس قـائلا: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ (٢٦) ﴾ سورة النمل، الآيتان: (٢٥-٢٦)، وأنت تجد حذف فعل القول في مقولات الهدهد؛ فكان الحذف أداة فاعلة في تحقيق حضور المشهد ممـا أدى إلى عدم انفصال المتلقي عن المشهد، وينتهي المشهد بقول سليمان-عليه السلام-:﴿ ۞ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) ﴾ سورة النمل، آية: (٢٧). محكمة، وحاكم جزم على إيقاع العقوبة على المحكوم عليه مقسما: **لأعذبنه .. لأذبحنه .. ليأتيني ..** تأكيد مكرر للأمر، يحصل المحكوم عليه بجزء من البراءة، ومحاولة استئناف الحكم يظهر في قول سليمان-عليه السلام-: **(سننظر)،** ألا ترى اختلاف نبرة وحـدة صوت سليمان-عليه السلام- التي عدل فيها عن الفعل المضارع إلى الأمر، والتوكيـد إلـى الجملة الاسمية، ثم فعل الأمر: **"أصدقت أم كنت من الكاذبين .. اذهب .. تـولى .. انظـر" وكأن سليمان يتراجع عن حكمه السابق على الهدهد من خلال تكليفه وأمره إن يذهب بكتابه إلى ملكة سبأ.**

وهكذا يستعيد المحكوم عليه جزءا من براءته بفضل فطنتـه وإتقانـه لفـن الحـوار ومهاراته ، إذ أقام الحجة البينة الواضحة لغيابه بما أثار الملك متراجعا عن تهديـده وإشـغال ذهنه وعقله نحو أمر أعظم و أسمى من مجرد ملاحقته بالعقوبة.

لم يبدأ الهدهد المرافعة عن نفسه بتبرير غيابه، وإنما جاء بأخبار لفتت أنظار القاضـي إلى أمور أجل وأهم، كان نتيجتها تغير الحكم على المتهم و براءته، قال الزمخشري: " ألهـم ا الهدهد، فكافح سليمان بهذا الكلام، على ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجمـة والإحاطة بالمعلومات الكثيرة، ابتلاء له في علمه، وتنبيهاً على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علماً بما لم يحط به سليمان، لتتحاقر إليه نفسه ويصغر إليه علمه، ويكون لطفاً له فـي ترك الإعجاب الذي هو فتنة العلماء، وأعظم بها فتنة، والإحاطة بالشيء علماً أن يعلـم مـن جميع جهاته، لا يخفى منه معلوم"[1].

---

[1] - الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد ا الزركشي أبو عبد ا . المحقق : محمد محمد تـامر، دار الكتـب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، ج٧ ، ص ٦٣

الشخصية الإسلامية التاسعة

عيسى – عليه السلام –

تأخذ حوارات هذه الشخصية ثلاثة أشكال غريبة من نوعها، الشكل الأول: وهو في المهد -مع بيان ظروف حمله وولادته-، والشكل الثاني: بعد النبوة، والشكل الثالث: يوم القيامة وسؤال الله تعالى له، وقد ذكر القرآن الكريم هذه الحوارات وفصل فيها إلا أن الدراسة ستقتصر على الشكل الأول: عيسى -عليه السلام- وظروفه الاجتماعية قبل الولادة وفي المهد، ويمكن أن نبدأ من حوار الملائكة مع مريم[1] -عليها السلام- والدة عيسى، وهو مع ذلك من أنباء الغيب يكشفه رب العزة قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ سورة آل عمران، آية: (٤٤)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ سورة آل عمران، آية: (٤٢)، "وتكرر فعل (ٱصْطَفَىٰكِ) لأن: الاصطفاء الأول اصطفاء ذاتي، وهو جعلها منزهة زكية، والثاني بمعنى التفضيل على الغير؛ فلذلك لم يعد الأول إلى متعلّق، وعدي الثاني. ونساء العالمين نساء زمانها، أو نساء سائر الأزمنة "[2]. هذا الاصطفاء يتطلب منك عدة أمور منها: ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ سورة آل عمران، آية: (٤٣)، يقول ابن عاشور:" والقنوت ملازمة العبادة . . وقدم السجود، لأنّه أدخل في الشكر والمقَام هنا مقام شكر"[3]. ثم تكون البشارة لمريم -عليها السلام- بقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ سورة آل عمران، آية: (٤٣)، يقول ابن عاشور موضحا هذه الآية: "ووصف عيسى بكلمة مراد به كلمة خاصة مخالفة

---

[1] - لم يذكر اسم امرأة في القرآن الكريم صراحة إلا اسم مريم - عليها السلام -.

[2] - التحرير والتنوير، ج٣، ص ١٧٤

[3] - المرجع السابق، ج٣، ص ١٧٤

للمعتاد في تكوين الجنين، أي: بدون الأسباب المعتادة، وقوله: (مِّنْهُ) من للابتداء المجـازي، أي بدون واسطة أسباب النسل المعتادة . . وقوله: (ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ) عبر عن العلـم واللقب والوصف بالاسم؛ لأن لثلاثتها أثراً في تمييز المسمى، فأما اللقب والعلم فظاهر. وأمـا الوصف المفيد للنسب فلأن السامعين تعارفوا ذكر اسم الأب في ذكر الأعلام للتمييـز وهـو المتعارف، وتذكر الأم في النسب إما للجهل بالأب كقول بعضهم: زياد بن سميةَ قبل أن يلْحق بأبي سفيان في زمن معاويةَ بن أبي سفيان، وإما لأن لأمه مفخراً عظيماً كقولهم: عمرو بـن هند، وهو عمرو بن المنذر ملك العرب"[1]. ولكن كيف تقبلت مريم-عليها السلام- هذه البشارة ؟ عندما تمثل لها جبريل-عليه السلام- على صورة البشر: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ سورة مريم، الآيتـان: (١٧-١٨)، فهي تستعيذ منه مع شرط التقوى" وتعليقها الاستعاذة على شرط تقواه، لأنه لا تنفع الاستعاذة ولا تُجدي إلاّ عند من يتقي ا ، أي: إن كان يرجى منك أن تتقي ا وتخشاه وتحفل بالاستعاذة به فإني عائـذة بـه منك. وجواب الشرط محذوف أي فإني أعوذ"[2]، ويكون الرد على لسان جبريـل:﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾﴾ سورة مريم، آية: (١٩)، تستنكر قائلة: ﴿ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾﴾ سورة مريم، آيـة: (٢٠)، والبغي: " اسم للمرأة الزانية، ولذلك لم تتصل به تاء التأنيث، ووزنه فعيل أو فعول بمعنى فاعل، فيكون أصله بغوي ،لأنه من البغـي فلمـا اجتمع الواو والياء وسكن السابق منهما قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء الأصلية وعوض عن ضمة الغين كسرة لمناسبة الياء فصار بغي"[3]. وفي سورة آل عمران تلجأ مريم إلى ا قائلة:

---

[1] - التحرير والتنوير، ج٣، ص ١٧٥، " والمسيح كلمة عبرانية بمعنى الوصف، ونقلت إلى العربية علمـاً بالغلبة على عيسى، ومعنى مسيح ممسوح بدهن المسحة وهو الزيت المعطّر"انظر: التحرير والتنـوير، ج٣، ص ١٧٥

[2] - تفسير البحر المحيط، ج٦، ص ١٣٢

[3] - التحرير والتنوير، ج ٩، ص٣٥

﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ سورة آل عمران، آية: (٤٧).

ويتكرر قول جبريل -عليه السلام- في وصف الحدث ولكن بأسلوب آخر ومغاير عن الأول فيه التأكيد على أن هذا أمر ا تعالى، وأن لا مجال للمجادلة أو الحوار ذلك أنه أصبح أمرا مقضيا قال تعالى على لسان جبريل -عليه السلام-: ﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ﴾ سورة مريم، آية: (٢١)، يقول سيد قطب:" فهذا الأمر الخارق الذي لا تتصور مريم وقوعه، هين على ا ؛ فأمام القدرة التي تقول للشيء كن فيكون، كل شيء هين، سواء جرت به السنة المعهودة أو جرت بغيره، والروح يخبرها بأن ربها يخبرها بأن هذا هين عليه، وأنه أراد أن يجعل هذا الحادث العجيب آية للناس، وعلامة على وجوده وقدرته وحرية إرادته، ورحمة لبني إسرائيل أولاً وللبشرية جميعاً، بإبراز هذا الحادث الذي يقودهم إلى معرفة ا ، وعبادته، وابتغاء رضاه . . يذكر أن ما أخبرها به من أن يكون لها غلام وهي عذراء لم يمسسها بشر، وأن يكون هذا الغلام آية للناس ورحمة من ا . أن هذا قد انتهى أمره، وتحقق وقوعه: (وكان أمراً مقضياً) كيف؟"[1].

فائدة: يقول ابن عاشور في تفسير حوار مريم -عليها السلام- مع جبريل -عليه السلام-: " ومحاورتها الملك محاولة قصدت بها صرفه عما جاء لأجله، لأنها علمت أنّه مرسل من ا فأرادت مراجعة ربها في أمر لم تطقه، كما راجعه إبراهيم -عليه السلام- في قوم لوط، وكما راجعه محمد -عليه الصلاة والسلام- في فرض خمسين صلاة. ومعنى المحاورة أن ذلك يجر لها ضراً عظيماً . . فكيف يتلقى الناس منها الإتيان بولد من غير أب معروف"[2].

ينتقل المشهد من خلال جملة وصف تسارع الأحداث مع إثارة عنصر التشويق: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ سورة مريم، الآيتان: (٢٢-٢٣)، تحدد الوقفة الوصفية المكان في أدق تفاصيله، مع بيان الزمن وهو

[1] - في ظلال القرآن، ج ٥، ص٩٤
[2] - التحرير والتنوير، ج٩، ص ٣٤

فترة الحمل[1] فالمخاض. يقطع الوصف بقول مريم -عليها السلام-: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾ سورة مريم، الآيتان: (٢٢-٢٣)، يقول سيد قطب: " وهي تواجـه الآلام الجسدية بجانب الآلام النفسية. تواجه المخاض الذي (أجاءها [2]) إجاءة إلى جذع النخلـة، واضطرها اضطراراً إلى الاستناد عليها، وهي وحيدة فريدة، تعاني حيرة العذراء في أول مخاض، ولا علم لها بشيء، ولا معين لها في شيء . . فإذا هي قالت: (يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا) فإننا لنكاد نرى ملامحها، ونحس اضطراب خواطرها، ونلمس مواقع الألم فيها وهي تتمنى لو كانت (نَسْيًا)"[3]. ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾﴾ سورة مريم، آية: (٢٤)، يقول ابن عاشور: "(ناداها) أي: ناداها المولـود.قـرأ نـافع، وحمـزة، والكسائي، وحفص، وأبو جعفر، وخلف، وروح عن يعقوب (مِن تَحتها) بكسر ميم (من) على أنها حرف ابتداء متعلّق ب (ناداها) وبجر(تَحتها)وقرأ ابن كثير، وأبـو عمـرو،

---

[1] - جاء في ظلال القرآن: " إن السياق لا يذكر كيف حملته ولا كم حملته. هل كان حملاً عادياً كما تحمل النساء، وتكون النفخة قد بعثت الحياة والنشاط في البويضة فإذا هي علقة فمضغة فعظام ثم تكسى العظـام باللحم ويستكمل الجنين أيامه المعهودة؟ إن هذا جائز. فبويضة المرأة تبدأ بعد التلقيح في النـشاط والنمـو حتى تستكمل تسعة أشهر قمرية، والنفخة تكون قد أدت دور التلقيح فسارت البويضة سيرتها الطبيعية . . كما أنه من الجائز في مثل هذه الحالة الخاصة أن لا تسير البويضة بعد النفخة سيرة عاديـة ، فتختـصر المراحل اختصاراً؛ ويعقبها تكون الجنين ونموه واكتماله في فترة وجيزة، في النص ما يدل على إحـدى الحالتين. فلا نجري طويلاً وراء تحقيق القضية التي لا سند لنا فيهـا"، انظـر: ظـلال القـرآن. ج ٥، ص ٩٤- ٩٥.

[2] - انظر: تفسير الكشاف، ج ٣، ص ١٢، وفيه معنى: "فَأجاءها (أجـاء: منقـول مـن جـاء، إلا أن استعماله قد تغير بعد النقل إلى معنى الإلجاء. ألا تراك تقول: جئت المكان وأجاءنيه زيد، كمـا تقـول: بلغته وأبلغنيه. ونظيره (آتى) حيث لم يستعمل إلا في الإعطاء، ولم تقل: أتيت المكان وآتانيه فلان".

[3] - المرجع السابق، ص٩٥، وقصدت بقولها (نَسْيًا): تلك الخرقة التي تتخذ لدم الحيض، ثم تلقى بعد ذلك وتنسى!

وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم، ورويس عن يعقوب (من بفتح الميم على أنها اسم موصول، وفتح تَحتَها) على أنه ظرف جعل صلة، والمعني بالموصول هو الغلام الذي تحتها ، وهذا إرهاص لعيسى وكرامة لأمه عليهما السلام "[1]. ومن هنا تكون أول جملة تحدث بها عيسى –عليه السلام– مستخدما أسلوب النداء: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ﴾ سورة مريم، آية :(٢٤)، مولود" ولد اللحظة يناديها من تحتها. يطمئن قلبها ويصلها بربها ، ويرشدها إلى طعامها وشرابها. ويدلها على حجتها وبرهانها!"[2] ﴿أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤﴾ سورة مريم، آية: (٢٤)، وقد طلبت من الله تعالى أن تكون نسيا منسيا، يأتيها الرد: أن الله الرحمن الرحيم: "لم ينسك ولم يتركك، بل أجرى لك تحت قدميك جدولاً سارياً الأرجح أنه جرى للحظته من ينبوع أو تدفق من مسيل ماء في الجبل، وهذه النخلة التي تستندين إليها هزيها، فتساقط عليك رطباً، فهذا طعام وذاك شراب. والطعام الحلو مناسب للنفساء، والرطب والتمر من أجود طعام النفساء، يكمل قوله -عليه السلام- مخاطبا إياها باستخدام أفعال الأمر: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾ سورة مريم، الآيتان: (٢٥-٢٦)، هذه الأفعال على التوالي: (وَهُزِّيٓ)، و(فَكُلِي)، و(وَٱشۡرَبِي)، و(وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ)، و(فَقُولِيٓ) تعتمد على عنصر الحركة الذي تستخدم فيه الحواس من: حركة اليدين في (وَهُزِّيٓ)، وفي الفعل(تُسَٰقِطۡ)[3]، ومن متابعة حركة اليدين والفك أثناء عملة الأكل والشرب في (فَكُلِي) ، و(وَٱشۡرَبِي)، واستخدام حاسة العين دلالة على تمام الرضا والقناعة (وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ)[4]، وأخيرا القول دلالة على عنصري الحركة والكلام (فَقُولِيٓ) والقول من مريم –عليها السلام– إلى كل من يحاول سؤالها عن هذا المولود "فأما إذا واجهت أحداً فأعلنيه بطريقة غير الكلام،

---

[1] - التحرير والتنوير، ج٩، ص ٣٨، وانظر: تفسير الكشاف ، ج ٣ ، ص ١٥

[2] - في ظلال القرآن، ج ٥ و ص ٩٥

[3] - انظر: تفسير الكشاف، ج ٣ ، ص١٥، " وتُسَاقِطْ فيه تسع قراءات : (تساقط) بإدغام التاء . و (تتساقط) بإظهار التاءين . و(تساقط) بطرح الثانية. و (يساقط) ، بالياء وإدغام التاء . و (تساقط) و (تسقط) و (يسقط) ، و (تسقط) ، و (يسقط) التاء للنخلة ، والياء للجذع" .

[4] - انظر : لسان العرب . ج ٥ ، ص ٨٢ وجاء فيه معنى (وقَرِّي عَيناً) " أي: طيبي نفساً. قال: وإنما نصبت العين لأن الفعل كان لها فصيرته للمرأة ، معناه : لِتَقَرَّ عينُك ، فإذا حُوِّل الفعلُ عن صاحبه نصب صاحب الفعل على التفسير" .

أنك نذرت للرحمن صوماً عن حديث الناس، وانقطعت إليه للعبادة. ولا تجيبي أحداً عن سؤال"[1] قال تعالى: ﴿فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾ سورة مريم، آية: (٢٦)، يقول الزمخشري:" أمرها الله بأن تنذر الصوم لئلا تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين، أحدهما: أن عيسى -صلوات الله عليه- يكفيها الكلام بما يبرىء به ساحتها. والثاني: كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم، وفيه أن السكوت عن السفيه واجب، ومن أذل الناس: سفيه لم يجد مسافها. قيل: أخبرتهم بأنها نذرت الصوم بالإشارة "[2].

وفي تأكيد فعل الأكل والشرب يكون رد شبه من قال أن عيسى هو الله عندما قالوا: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ سورة المائدة، آية:(١٧)، والدليل أنهما كانا يأكلان الطعام قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾﴾ سورة المائدة، آية:(٧٥).

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ المائدة: ٧٣

[1] - في ظلال القرآن، ج٥، ص٩٥

[2] - تفسير الكشاف، ج٣، ص ١٦

الشخصية الإسلامية العاشرة

محمد - صلى ا عليه وسلم-

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة آل عمران، الآيتان: (١٩-٢٠)، ويؤكد ا سبحانه وتعالى حقيقة الإسـلام بقولـه -عـز وجلّ-: ﴿ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِي ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡۖ إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ سورة النمل، آيـة: (٨١)، **وعليه جاءت دعوة الرسول محمد** -صلى ا عليه وسلم- **إلى الإسلام** في أكثر من صيغة، وعلى لسانه -عليه الصلاة والسلام- من باب الترغيب، وقد ذكر ا تعالى ثوابه فـي الدنيا والآخرة، نحو: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ سورة آل عمران، آية: (٣١)، وفي قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحۡزُنكَ قَوۡلُهُمۡۘ إِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًاۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة يونس، الآيات: (٦١ – ٦) ، وقولـه تعـالى: ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ سورة النحل، الآيتان: (٩٦ –٩٧).

ومن باب الإقرار والاعتراف نحو قوله: ﴿ إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ (٩١) وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ (٩٢) وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٩٣) ﴾ سورة النمل، الآيات: (٩١ – ٩٣)، ومن باب الترهيب وذلك إما:

- أن يأخذ صورة عامة و مبهمة من نوع العقاب، نحو قوله: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ (٦٥) رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ (٦٦) قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ (٦٧) أَنتُمۡ عَنۡهُ مُعۡرِضُونَ (٦٨) مَا كَانَ لِيَ مِنۡ عِلۡمِۭ بِٱلۡمَلَإِ ٱلۡأَعۡلَىٰٓ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ (٦٩) إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ (٧٠) ﴾ سورة ص، الآيات: (٦٥ – ٧٠)، وكذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ (٢٤) وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ (٢٥) ﴾ سورة الأنفال، الآيتان: (٢٤ - ٢٥)، ﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣) ﴾ سورة التوبة، آية: (٣)، وقوله عز وجل: ﴿ ۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ (٥٠) ﴾ سورة الحجر، الآيتان: (٤٩ - ٥٠)، ومن رحمة ا تعالى في عباده أن آيات الرحمة والترغيب تسبق آيات الترهيب والعذاب.

- أو أن يأخذ صورة واقعية معجلة في الدنيا، نحو قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ (٢٧٩) ﴾ سورة البقرة، الآيتان: (٢٧٨ – ٢٧٩)، ومن مثل قوله تعالى: ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يَرۡحَمَكُمۡۚ وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ وَجَعَلۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ حَصِيرًا (٨) ﴾ سورة الإسراء، آية: (٨)، وفي قوله

سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ سورة التوبة، آية: (٥٥).

- أو أن يكون على صورة تحذير وإنذار، نحو قوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ سورة الأنفال، آية: (٣٨)، وقوله تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ سورة فصلت، آية: (٤٦)، وقوله -عز وجلّ-: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ سورة فصلت، الآيات: (٥٢ - ٥٤)، ومن ذلك وعد الله تعالى في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ سورة التوبة، آية: (٦٨).

وقد وصف الله -عز وجلّ- نبيه بعدة صفات عامة جامعة منها: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ سورة آل عمران، آية: (١٦٤)، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ سورة التوبة، آية: (١٢٨)، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ سورة الأحزاب، الآيتان: (٤٥ – ٤٧)، يقول سيد قطب: "فوظيفة النبي -صلى الله عليه وسلم- فيهم أن يكون (شاهداً) عليهم؛ فليعملوا بما يحسن هذه الشهادة التي لا تكذب ولا تزور، ولا تبدل، ولا تغير. وأن يكون (مبشراً) لهم بما ينتظر

العاملين من رحمة وغفران، ومن فضل وتكريم. وأن يكون (نذيراً) للغـافلين بمـا ينتظـر المسيئين من عذاب ونكال، فلا يؤخذوا على غرة، ولا يعذبوا إلا بعد إنذار. (وداعياً إلى ا) . . لا إلى دنيا، ولا إلى مجد، ولا إلى عزة قومية، ولا إلى عصبية جاهلية، ولا إلـى مغـنم، ولا إلى سلطان أو جاه، ولكن داعياً إلى ا في طريق واحد يصل إلى ا (بإذنه) . . فمـا هو بمبتدع، ولا بمتطوع، ولا بقائل من عنده شيئاً. إنما هو إذن ا لـه وأمـره لا يتعـداه، (وسراجاً منيراً) . . يجلو الظلمات، ويكشف الشبهات، وينير الطريق، نـوراً هادئـاً هاديـاً كالسراج المنير في الظلمات"[1]. وقوله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ سورة آل عمران، آية: (١٤٤)، وعليه فهو مثل أعلى، وأنموذج حقيقي، وقدوة يمكن تمثلها قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ سورة الأحزاب، آيـة: (٢١)، ولهذا كان لا بد من محاولة جمع صفاته واتباعه، فهو قدوة الناس أجمعين، وقـد جمـع -عليه الصلاة والسلام- ما بين صفات الأنبياء السابقة، وصفات زادت عنها بحيث شكلت في مجموعها صفات الشخصية الإسلامية الواجب من كل فرد تمثلها، وهي في مجملهـا الخلـق العظيم، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ سورة القلم، آية: (٤)، جاء هذا الخلق على عدة صور منها:

أولا- ما كان على صيغة الأمر بالتلقين من ا تعالى، نحو:

١- ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ سورة الأعراف، الآيتان: (١٩٩ – ٢٠٠).

٢- التوكـل[2]علـى ا : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾ سورة لفرقان، أية: (٥٨)، وقال تعالى: ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ ﴾ سورة النساء، آية: (٨١)، ومنه قوله تعـالى: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ ﴾

---

[1] - في ظلال القرآن، ج٦، ص ٩١

[2] - والتوكل: إسناد المرء مهمة وشأنه إلى من يتولى عمله، والوكيل: الذي يسند إليه غيره أمـره، انظـر: التحرير والتنوير. ج٢١، ص ١٨٢

سورة الأنفال، أية: (٦١)، وقوله عز وجلّ: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾ سورة الأحزاب، آية: (٣)، ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ ﴾ سورة الأحزاب، آية:(٤٨)، وقوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ سورة آل عمران، آية: (١٥٩)، وقوله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ ﴾ سورة النمل، آية: (٧٩)، وقال تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ﴾ سورة الشعراء، آية: (٢١٧).

٣- ﴿ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ سورة المؤمنين، آية: (٩٦)، وجاء في المعنى ذاته قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة فصلت، آية: (٣٤).

٤- الإعراض عن الكافرين والمنافقين، تدرج في هذا الإعراض ما بين:

أ- عدم الطاعة قال تعالى: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾ سورة الأحزاب، آية: (٤٨).

ب- عدم الاكتراث بما يفعلونه من شتى أنواع الأذى الجسمي والنفسي والمعنوي، قال تعالى: ﴿ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ ﴾ سورة الأحزاب، آية: (٤٨)[1].

ج- الاحتساب والدعاء والتوكل، قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾ سورة التوبة، آية: (١٢٩).

---

[1]- يقول ابن عاشور:" يجوز أن يكون فعل (ودع) مرادا به أن لا يعاقبهم فيكون(ودع) مستعملا في حقيقته، وتكون إضافة أذاهم من إضافة المصدر إلى مفعوله، أي: دع أذاك إياهم. ويجوز أن يكون (ودع) مستعمله مجازا في عدم الاكتراث، وعدم الاهتمام فيما يقولونه مما يؤذي، ويكون إضافة أذاهم من إضافة المصدر إلى فاعله، أي: لا تكترث بما يصدر منهم من أذى إليك فإنك أجل من الاهتمام بذلك، وهذا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه. وأكثر المفسرين اقتصروا على هذا الاحتمال الأخير، والوجه: الحمل على كلا المعنيين، فيكون الأمر بترك أذاهم صادقا بالإعراض عما يؤذون به النبي- صلى ا عليه وسلم- من أقوالهم، وصادقا بالكف عن الإضرار بهم، أي أن يترفع النبي- صلى ا عليه وسلم- عن مؤاخذتهم على ما يصدر منه في شأنه، وهذا إعراض عن أذى خاص لا عموم له . . فليست آيات القتال بناسخه له، وهذا يقتضي أنه يترك أذاهم ويكلهم إلى عقاب أجل." التحرير والتنوير، ج٢١، ص ٢٨٥

د- الانصراف المؤقت عنهم قال تعـالى: ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ سـورة الـصافات، آيـة: (١٧٤)،

ويتكرر الأمر في نفس السورة بقوله تعالى: ﴿ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ ﴾ سورة الصافات، آية: (١٧٨)،

وفي هذا دلالة عدم اليأس من دعوة الكافرين والمنافقين واتخاذ كافة الوسائل والطرق لعل ا يجعل فيهم خيرا.

هـ - عدم الحزن من كفرهم: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ ﴾ سورة آل عمران، آية: (١٧٦).

٥- ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾ سورة آل عمران ، آية : (١٥٩).

٦- ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ سورة يونس، آية: (١٠٩)، تكرر الأمر بصيغة مشابهة، يقول تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ سورة الأحزاب، آية: (٢).

٧- ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ سورة الإسراء، الآيتان: (٧٨ – ٧٩).

٨- ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ ﴾ سورة طه، آية: (١١٤) .

٩- ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾ سورة الشعراء، آية: (٢١٥).

١٠- ﴿ وَأَنْ أَتْلُوَا ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ سورة النمل، آية: (٩٢).

١١- الحمد والشكر ، وأخذ درجات منها:

أ- الشكر باللسان قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ سورة النمل، آية: (٩٣)، ذكر النعمة و شكر ا عليها قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ سورة الضحى، آية: (١١).

ب- الشكر بالصلاة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝ ﴾ سورة الشرح، الآيتان: (٧-٨).

ج-الشكر بالإيمان با تعالى، قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝ ﴾ سورة البقرة، آية: (١٥٢)، "أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر"[1].

١٢- ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ ﴾ سورة الضحى، الآيتان: (٩-١٠).

١٣- ﴿ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ ﴾ سورة القلم، آية: (١٠).

ثانيا: صفات اتصف بها الرسول -صلى ا عليه وسلم- نذكر منها:

١- الرحمة: قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ۝ ﴾ سورة الأنبياء، آية: (١٠٧)، وقال عز وجـــلّ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ۝ ﴾ سورة آل عمران، آيـة: (١٥٩)، يقول ابن عاشور: " أرسل محمد -صـلى ا عليه وسلم- مفطورا على الرحمة، فكان رحمـة مـن ا بالأمة في تنفيذ شريعته دون تساهل، وبرفق وإعانة على تحصيلها، فلذلك جعل لينه مـصاحبا لرحمة من ا أودعها ا فيه، إذ هو بعث للناس كافة، ولكن اختار ا أن تكون دعوته بـين العرب أول شيء لحكمة أرادها ا تعالى في أن يكون العرب هـم مبلـغ الـشريعة للعـالم، والعرب أمة عرفت بالأنفة، وإباء الضيم، وسلامة الفطرة، وسرعة الفهـم، وهـم المتلقـون الأولون للدين فلم تكن تليق بهم الشدة والغلاظة، ولكنهم محتاجون إلى استنزال طـائرهم فـي تبليغ الشريعة لهم، ليتجنبوا بذلك المكابرة التي هي الحائل الوحيد بينهم وبين الإذعـان إلـى الحق. وورد أن صفح النبي -صـلى ا عليه وسلم- وعفوه ورحمته كان سببا في دخول كثير في الإسلام، كما ذكر بعض ذلك عياض في كتاب الشفاء"[2]. والغلاظة في اللغة: " فيهـا ثـلاث لغات غِلاظة وغُلاظة وغَلاظة، وقد غلظ عليه وأَغْلَظ وأَغْلَظ له في القول لا غير، ورجل غَلِـيظ فَظ فيه غِلْظة ذو غِلْظة وفَظاظةٍ وقَساوة وشدة .. وأَمر غَلِيظٌ شَدِيد صعب"[3].

---

[1] - تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢٤٤

[2] - التحرير والتنوير، ج٣، ص ٢٦٦

[3] - لسان العرب، ج٧، ص ٤٤٩، و " (فظ) الفاء والظاء كلمةٌ تدل على كراهةٍ وتكره. من ذلك الفَظ: مـاء الكَرِش، وافتُظ الكرش، إذا اعتُصِر. . قال بعض أهل اللغة: إن الفَظاظةَ من هذا. يقال رجـلٌ فـظ: كريـه الخُلُق، وهو من فَظ الكَرِش، لأنه لا يتناول إلا ضرورةً على كراهة، ويقولون: الفَظِيظ: ماء الفَحـل." معجـم مقاييس اللغة لابن فارس. ج٤، ص ٤٤١

٢- الصدق وقد أخذ أكثر من صورة منها:

أ- عرف محمد- صلى ا عليه وسلم- في الجاهلية بالصادق الأمين " إن مشركي العرب فـي جاهليتهم - وخاصة تلك الطبقة التي كانت تتصدى للدعوة من قريش- لم يكونوا يشكون فـي صدق محمد -صلى ا عليه وسلم- فلقد عرفوه صادقاً أميناً، ولم يعلموا عنه كذبة واحدة فـي حياته الطويلة بينهم قبل الرسالة، كذلك لم تكن تلك الطبقة التي تتزعم المعارضة لدعوته تشك في صدق رسالته، وفي أن هذا القرآن ليس من كلام البشر، ولا يملك البشر أن يأتوا بمثله"[1] .

ب- عدم التكذيب، قال تعالى: ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة الأنعام، آية: (٣٣)، يقول سيد قطب: " يتجه الحديث إلى رسـول ا -صلى ا عليه وسلم- يطيب ا -سبحانه- خاطره في أوله، مما يلاقيه من تكذيب قومـه له، وهو الصادق الأمين، فإنهم لا يظنون به الكذب، إنما هم مصرون على الجحود بآيـات ا وعدم الاعتراف بها وعدم الإيمان، لأمر آخر غير ظنهم به الكذب! كما يواسـيه بمـا وقـع لإخوانه الرسل قبله من التكذيب والأذى، وما وقع منهم من الصبر والاحتمال، ثم مـا انتهـى إليه أمرهم من نصر ا لهم. وفق سنته التي لا تتبدل"[2].

ج- شهادة ا تعالى بصدقه، يقول عز وجلّ: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ سورة النجم، الآيتان: (٢-٣) .

د- صدق الرؤيا، قال تعـالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ ﴾ سورة الفتح، آية: (٢٧).

ثالثا: ما جاء على صيغة دعاء منه عليه الصلاة والسلام، ومن هذه الأدعية ما يأتي:

١- ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ سورة المؤمنون، الآيتان:(٩٧-٩٨) .

[1]- في ظلال القرآن، ج٣، ص ١٣

[2] - المرجع السابق، ج٣، ص ١٣-١٤

٢- ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ ﴾ سورة الإسراء، آية: (٨٠).

٣- ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ سورة طه، آية: (١١٤).

٤- ﴿ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾ سورة المؤمنون، آية: (١١٨).

رابعا: ما جاء على صيغة النداء من رب العزة إلى محمد -صلى ا عليه وسلم-، نحو قوله تعالى:

١- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ﴾ سورة التحريم، آية:(٩) .

٢- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ سورة الأنفال، آية: (٦٤).

٣- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾ سورة التوبة، آية: (٧٣) .

فائدة (١): عاتب ا تعالى رسوله محمد-صلى ا عليه وسلم- في أكثر من موقف منها:

١- عبس وتولى، أخذ هذا العتاب ثلاث درجات هي:

أ- وصف وجه الرسول -صلى ا عليه وسلم- عندما جاء ابن أم مكتوم –رضي ا عنه– علما أنه لايرى، قال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ سورة عبس، الآيات: (١-٤).

ب- تنبيه الرسول -صلى ا عليه وسلم- وهو الداعية إلى عدم صرف طاقته فيمن هو ميؤس من إسلامه، وزاد في العتاب قوله تعالى: ﴿ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ ﴾ سورة عبس، الآيات: (٥-٧).

ج - تكريس الجهود والطاقات في الوجوه المستحقة، منها ما لدى الداعية ومعرفتها وتقديرها، ومنها السعي وراء الداعية لأجل الاستماع، ومنها علامات الخشية التي

تظهر على الوجه، قال تعـالى: ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ سورة عبس، الآيات: (٨-١٠).

٢- قال تعالى معاتبا نبيه محمد- صلى ا عليه وسـلم-: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ ﴾ سورة التحريم، آية: (١).

٣- في تلقي القرآن من جبريل –عليه السلام– وصف ا تعالى نبيه محمد -صلى ا عليه وسلم- معاتبا إياه قـائلا: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ ﴾ سـورة القيامـــة، الآيتان: (١٦ – ٢١)، وهذه القاعدة تأخذ أكثر من جانب منها:

الجانب الأول: كيف نتعامل مع القرآن المسموع، من الإنصات الجيـد ومنـه عـدم تحريك الشفاه، ثم محاكاة القراءة بعد الإصغاء الجيد.

الجانب الثاني: الدعوة إلى حسن الاستماع حتى تدرك ما يقرأ، أو يقال، وفي هذا تنمية مهارة السمع.

الجانب الثالث: كراهية العجلة، والدعوة إلى التأني في كل شيء حتى في الاستماع.

وكان العتاب من ا تعالى لنبيه محمد -صلى ا عليه وسلم- قد شمل حكما عظيمـة منها :

١- أن محمدا -صلى ا عليه وسلم- بشر ويتصف بصفات البشر. عمل ا عز وجلّ علـى تهذيب أخلاقه –عليه الصلاة والسلام- وتسويتها حتى يكون قدوة، قال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٞ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ ﴾ سورة الفرقان، آيـة: (٧)، وقال تعالى في وصف حال الرسل- صلى ا عليه وسلم- والأنبياء –عليهم السلام-: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٖ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ﴿٢٠﴾ ﴾ سورة الفرقان، آية: (٢٠).

٢- أن أي صفة في الإنسان قابلة للتعديل والتغير إذا حاول الإنسان ذلك؛ بدليل أن ا تعـالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ سورة الرعد، آية: (١١).

٣- تثبيت حكم شرعي مثل: تحلة الإيمان، قال تعالى: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ سورة التحريم، آية: (٢).

٤- إن صفة الكمال هي صفة خاصة با -عز وجلّ- تقدس في علاه، لا يشاركه فيها أحـد حتى ولو كان نبيا رسولا.

- الرحمـــة، ﴿قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَـٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾﴾ سورة هود، آية: (٢٨)، وفي قوله تعالى على لسان نوح -عليـه الـسلام-، ﴿أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ سورة الأعراف، آية: (٦٣).

- الحمد والـشكر، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾﴾ سورة إبراهيم، آية: (٣٩)، وقال تعالى في وصف إبراهيم -عليه السلام-: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ سورة النحل، الآيـة: (١٢١)، وسليمان -عليه السلام-: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ سورة النمل، الآية: (١٩)، والإنسان المسلم يشكر ا تعالى قـائلا: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ

﴿ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ سورة لأحقاف، الآية: (١٥)، وقد أثنى ا تعالى على داود- عليه الـسلام- قائلا: ﴿ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ سورة سبأ، الآية: (١٣).

- اعتزال المنكر، قال تعالى على لسان إبراهيم- عليه الـسلام-: ﴿ وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدۡعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيّٗا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلّٗا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة مريم، الآيتان: (٤٨-٤٩).

٧- **الذكر الحسن:** تتعدد صور الذكر الحسن في الحياة وبعد الموت ومنها قوله تعالى علـى لسان عيسى- عليه السلام-: ﴿ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ﴿٣٣﴾ ﴾ سورة مريم، آيـة: (٣٣)، وفي وصف للذكر الحسن بعد الموت: ﴿ وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ سورة الـشعراء، الآية: (٨٤)، أي: واجعل لي ذكرا جميلا بعدي أذكر به ويقتدى بي في الخير كما قـال تعـالى: ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾ سورة الصافات، الآيات: (٧٨-٨٠).

ويصف تعالى موسى وهارون -عليهما السلام- بقوله: ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِمَا فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢١﴾ ﴾ سورة الصافات، الآيـات: (١١٩-١٢١)، ﴿ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ ﴾ سورة الصافات، الآيات: (١٠٨-١١٢)، وذكر تعالى علـو شـأن إبراهيم -عليه السلام- بقوله تعالى: ﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿٨٣﴾ ﴾ سورة الأنعام، الآية: (٨٣).

٨- **العلم،** قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ سورة النمل، الآيتان: (١٥-١٦)، ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ **الأنبياء،** ووصف الله تعالى نبيه يوسف -عليه السلام- قائلا: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة يوسف، آية: (٢٢)، وقال تعالى في وصف لوط -عليه السلام-: ﴿ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ ﴾ سورة الأنبياء، آية: (٧٤)، وفي قوله تعالى دعوة صريحة إلى طلب العلم والاستزادة منه، قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ ﴾ ا سورة طه، آية: (١١٤)، وقد وصف ا تعالى موسى -عليه السلام- بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ سورة القصص، آية: (١٤)، ومع ذلك فهو حريص على العلم عندما اتبع الخضر على أن يعلمه، قال تعالى: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ ﴾ سورة الكهف، الآيتان: (٦٥ – ٦٦).

نتائج البحث

إن الحوار في القرآن معجز بطريقة نظمه ودقة ترتيبه وبلاغته وبيانه مع غيره من المقولات على اختلاف الموضوعات، وبما اشتمل عليه من أخبار الأمم الغابرة أو المغيبات، فهو حقيقة خالصة وصادقة مطابق للواقع، وقد تعددت الأطراف المتحاورة واختلفت في طبيعتها وجنسها وعددها مما بعث الحياة والحركة في الأحداث.

وتنوعت البنية التركيبية اللغوية للمقولات الحوارية، وتميزت بأسلوبها الفني والبلاغي من خلال: الإيجاز والالتفات والعدول، وكان لهذا دور بارز في نقل المتلقي إلى مسرح الأحداث ولفت انتباهه وشحذ عقله وحضوره بشكل شيق وفعال، وشارك الوصف المواقف الحوارية، وكانت جملا سريعة تتخلل المقولات الحوارية، وساعد الحوار في:

- رسم معالم الشخصيات، وتقليص الزمن، وإبراز خصائص المكان؛ فكانت له وظيفة رمزية تقتضي بأن يكون المقطع الوصفي عنصرا من عناصر عرض أبعاد الشخصية.
- أن باب الحوار مفتوح للجميع، وله قدرة على إثارة المتلقي، واستمرارية التواصل والتفاعل مع الآخرين، واستخدام الحوار الجيد القائم على أسس وركائز دينية، وأصول فن ومهارات الإيصال والتحاور في سبيل نشر التعاليم الإسلامية .
- نبذ القمع والتسلط واستبدالهما ببيئة قائمة على حوار مع الآخر مهما كان، وعدم الاستخفاف به، واعتبار الحوار البناء أمانة في عنق المربين لتعليم الأفراد، وضرورة الحث على تعليم مهارات وأساليب الحوار وآدابه ومستلزماته بناء على أصول الحوار في القرآن الكريم.

وآخر دعواهم أن الحمد رب العالمين .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ سورة النمل، آية: (١٩).

المصادر و المراجع

١- البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدا . الجامع الـصحيح المختـصر، تحقيـق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م

٢- البعلبكي، رمزي منير. معجم المصطلحات اللغوية، دار العلـم للملايـن، بيـروت، ١٩٩٠م

٣- بهجت، أحمد. قصص الحيوان في القـرآن الكـريم، دار الـشروق، القـاهرة، ط١، ١٩٨٣م

٤- الجرجاني، أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد. دلائل الإعجـاز، تحقيـق: رشيد رضا، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م

٥- جبور، عبد النور. المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٤ م

٦- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد. فتح الباري، تحقيق:عبد العزيز بن عبد ا بن باز ومحب الدين الخطيب، دار الفكر

٧- حسن، عباس. النحو الوافي، دار المعارف، ط15

٨- حنفي، عبد الحليم. أسلوب المحاورة في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتب، القاهرة، ط٢، ١٩٨٥م

٩- أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف. تفسير البحر المحيط، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود و الشيخ علي محمد معـوض، دار الكتـب العلميـة، لبنـان، بيـروت،ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م

١٠- الخطيب، عبد الكريم. القصص القرآني في منطوقة ومفهومة، مع دراسة تطبيقيـة لقصتي آدم ويوسف، بيروت، لبنان ، ط٢، ١٣٥٠ هـ - ١٩٧٥م

١١- الداني، الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمرو. التيـسير في القراءات السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م

١٢- الدجاني، زاهية. يوسف في القرآن الكريم والتوراة مع دراسـة مقارنـة للمـشاهد والعبر، دار التقريب بين المذاهب الإنسانية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٤م

١٣- الرفاعي، محمد نسيب. تيسير العلى القدير لاختصار تفسيرابن كثير، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ط٢، ١٤١٠هـ -١٩٨٩م .

١٤- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي. تفسير الفخر الرازى، دار إحياء التراث العربى

١٥- ________________________.

مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م

١٦- الزحيلى، وهبة. القصص القرآنية هداية وبيان، دار الخير، دمشق،سورية، ط١، ١٤١٣هـ ١٩٩٢م

١٧- الزركشي، محمد بن بهادر بن عبد ا الزركشي أبو عبد ا . البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ١٣٩١م

١٨- ________________________. البحر المحيط في أصول الفقه،المحقق : محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م

١٩- الزمخشري، أبو القاسم جار ا محمود بن عمرو. أساس البلاغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م

٢٠- ________________. تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان

٢١- زيتون، لطيف. معجم مصطلحات نقد الرواية، مكتبة لبنان، ناشرون، ط١، ٢٠٠٢م

٢٢- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي. تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١

٢٣- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م

٢٤- الشربيني، محمد بن أحمد شمس الدين. تفسير السراج المنير، دار النشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

٢٥- الشيخلي، عبد الكريم. أخلاقيات الحوار، دار الشرق، عمان، ط١، ١٩٩٣م

٢٦- صابونى، محمد على. صفوة التفاسير، تفسير القرآن الكريم، جامع بـين المـأثور والمعقول مستمد من أوثق كتب التفاسير(الطبري، الكشاف، القرطبي، الألوسي، أبن كثير، البحر المحيط) دار الفلك للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية
٢٧- الصاحب بن عباد، الصاحب الكافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل ابن عباد بن العباس بن أحمد بن إدريس الطالقاني.المحيط في اللغة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان،ط١، ١٤١٤هـ -١٩٩٤ م
٢٨- الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والرسل والملوك لأبى جعفـر محمـد بـن جرير الطبري، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف،مصر،القاهرة، ط٢
٢٩- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطـاهر بـن عاشـور التونـسي. التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م

٣٠- عبد النور، جبور. المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤م

٣١ - العبيدي، خالد فائق، المنظار الهندسي للقرآن الكريم، دار المسيرة للنشر والتوزيـع والطباعة، عمان، الأردن، ط١، ٢٠٠١م
٣٢- أبو العدوس، يوسف. البلاغة والأسلوبية، مقدمات عامة، الأهلية للنشر والتوزيـع، عمان، ط ١، ١٩٩٩م
٣٣- العسكري، أبي هلال. جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبـراهيم و عبـد المجيد قطامش، دار الفكر، ط٢، ١٩٨٨م
٣٤- عليان، مصطفى. بناء الشخصية في القصة القرآنية، دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤١٣هـ -١٩٩٢م
٣٥- عوض، لويس. نصوص النقد الأدبي اليونان، دار المعارف، مصر، القاهرة ،١٩٦٥م - ابن فارس، محمد بن فارس بن زكريا. معجم مقاييس اللغة، دار الفكر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٨م
٣٦- فتحي، إبراهيم. معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحـدين، ط١، ١٩٨٦م
٣٧- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. كتـاب العـين، تحقيـق: د.مهـدي المخزومي ود.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال

٣٨- قطب، سيد. في ظلال القرآن، دار الشروق ، بيروت ، ط١، ١٩٨٢م
٣٩-_________. التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط١
٤٠- القشيري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم. صحيح مسلم، بتحقيق: وتصح محمد فؤاد عبد الباقي، صدرت عن دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة، سنة ١٣٧٤هـ.
٤١-ابن كثير،عماد الدين أبو الفداء إسماعيل. قصص الأنبياء، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان ، الأردن، ط٢، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م
٤٢-_____________________________. تفسير القرآن العظيم ، تحقيق: سامي محمد سلامة ، دار طيبة ، الرياض، ط٢ ، ١٩٩٩م
٤٣- ماضي، شكري عزيز. في نظرية الأدب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط ١. ٢٠٠٥م
٤٤- المتقي الهندي، علي بن حسام الدين. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م
٤٥- مخلوف، عبدالرؤوف. الباقلاني وكتابة إعجاز القرآني، دراسة تحليلية نقدية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان
٤٦- مصطفى، إبراهيم وآخرون. المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة
٤٧- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور. الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١
٤٨- منير، وليد. النص القرآني من الجملة إلى العالم، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٩٩٧م
٤٩- النابلسي، محمد راتب. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، آيات الله في الأفاق، دار المكتبي، عمان، الأردن
٥٠- ابن نبي، مالك. مشكلات الحضارة الظاهرة القرآنية، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، بيروت، ط٢ ، ١٩٦٨م
٥١- النجار، عبد الوهاب. قصص الأنبياء(لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب)، مطبعة النصر، مصر، ط٢، ١٣٥٥هـ - ١٩٣٦م

٥٢- نجم، محمد يوسف. فن القصة، دار الثقافة، بيروت، لبنان

٥٣- نفرة، تهامي. سيكلوجية القصة في القرآن الكريم، الشركة التونسية للتوزيع، جامعة الجزائر، ١٩٧١ م

٥٤- الوائلى، عبد الكريم. الخطاب النقدي عند المعتزلة، قراءة في معضلة المقياس النقدي، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٧م.

٥٤- هلال، محمد غنيمي. النقد الأدبي الحديث، دار العودة، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م

الرسائل الجامعية :

- الدراويش، حسن أحمد. النظم القرآني في سورة البقرة، دراسة في الدلالة والأسلوب، رسالة دكتوراه، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٨٦م
- بني دومي، خالد قاسم حسين. التكرار اللفظي في لغة الحوار القرآني دراسة لغوية أسلوبية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة اليرموك
- الدولات، خالد سليمان عيد. الشخصية في القصص القرآني، رسالة ماجستير، الأردن، ١٩٩٦م
- سالم، علي محمود. ظاهرة التقديم والتأخير بين المبنى والمعنى قي القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٨٦م
- الغزاوي، سمير إبراهيم. التنغيم اللغوي في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، ٢٠٠٠م
- ملكاوي، بثينة. القصة القرآنية ومناسبتها للسياق القرآني، رسالة ماجستير،الأردن،٢٠٠٠م
- نزال، فوز سهيل كامل. لغة الحوار، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن، ٢٠٠١م في القرآن،دراسة وظيفية، أسلوبية.
- الهتارى، عبد ا على. العدول النحوي السياقي في القرآن الكريم،رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، الأردن

Abstract

The following study examines the concept of dialogue and rules of dialogue in the Holy Quran.

Then , I will review forms of dialogues in Quran that serve the objectives of this study to examine the impact of Qur'anic dialogues spoken by the Qur'anic characters on different kinds of recipients .

Through an analytical study of the Qur'anic text , we would focus on particular situations that seemingly suggest repetition , and how to refute that suspicion by demonstrating the benefits of repetition according to the situation that has been selected for research and study.

Afterwards , I will introduce methods and language of Qur'anic dialogues through: words, briefing, switching from singular to plural , dual to singular and from masculine to feminine in the Qur'anic discourse according to stylistic and analytical study of a rules-based integrative approach.

Based on the previous approaches , I will discuss the practical aspect in this study by focusing on particular Qur'anic dialogues that could help us understand the Qur'anic character , which in turn will help us in the study of the Islamic personality in the Qur'an within the scope of this study.

I will incorporate my most important findings into this study.

May God Help Us